

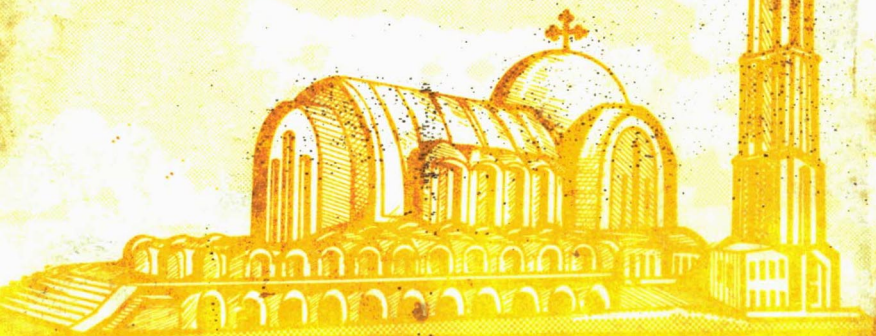
قداسة البابا شنودة الثالث

أتمت وديان
A ty wagh

الخصائص

في

المفهوم الأرثوذكسي



بابا شنودة
Atef waqar

الخصائص

في
المفهوم الأرثوذكسي



في هذا الكتاب



في موضوع الخلاص ، كما
في باقي الموضوعات اللاهوتية ،
لا يصلح تقديم آية واحدة من
الكتاب لإثبات عقيدة ...

إنما يجب على الباحث أن
يلم بكل الآيات المتعلقة
بالموضوع ، ويجمعها من كافة
مواضعها ، لكي يصوغ منها كلاً
متجانساً ، يتفق مع الفهم
اللاهوتي السليم ...

وفي الكتاب الذي بين
يديك ، ترى مثلاً لهذا النهج
من البحث ...

وهناك أجزاء أخرى من
هذا الكتاب ، في طريقها
إليك ، لتكلمة موضوع
« الخلاص » ...

قداسة البابا شنودة الثالث

الخص

في

المفهوم الأرثوذكسي

Salvation
In
The Orthodox Understanding

By
H.H. POPE SHENOUDA III

الطبعة الثانية
نوفمبر ١٩٨٠

Second Print
November 1980

شركة قهوة ليليا كافتيريا

شركة قهوة ليليا

شركة قهوة ليليا كافتيريا

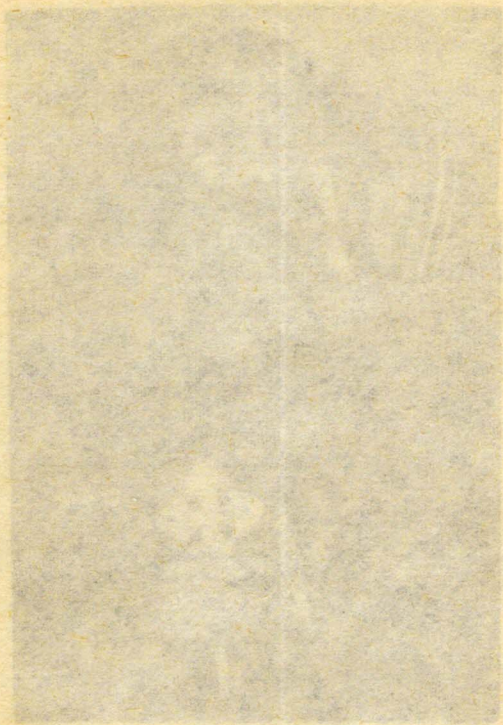
شركة قهوة ليليا كافتيريا
شركة قهوة ليليا كافتيريا
شركة قهوة ليليا كافتيريا

شركة قهوة ليليا كافتيريا
شركة قهوة ليليا كافتيريا

شركة قهوة ليليا كافتيريا
شركة قهوة ليليا كافتيريا



قداسة البابا شنوده الثالث



Handwritten text in Arabic script, likely a date or reference number, located below the watermark.

محتويات الكتاب

صفحة

٧ تصدير الطبعة الثانية

٨ تصدير الطبعة الأولى

٩ مقدمة : خطورة استخدام الآية الواحدة

٢١ الفصل الأول : لا خلاص الا بدم المسيح

..... شروط استحقاق الدم :

..... الايمان

..... المعمودية

..... الأسرار اللازمة

..... الأعمال الصالحة

٥٦ الفصل الثاني : أهمية الأعمال في موضوع الخلاص

..... الأعمال الشريفة تؤدي الى الهلاك ...

..... الدينونة ... حسب الأعمال

..... الأعمال ثمار لازمة للايمان

..... الأعمال برهان على الولادة من الله

..... أهمية السلوك والأعمال الصالحة ...

٨٢ الفصل الثالث : الجهاد والنعمة

١٠٢ : **الفصل الرابع : الثقة وضمان الملكوت**

ما هي حدود الرجاء في مراحم الله...

شروط الثقة كما يشرحها يوحنا

الرسول

الثقة واليقين في رسائل بولس

الرسول

١٢٩ : **الفصل الخامس : هل يمكن أن يهلك المؤمن**

الاثباتات الثمانية ...

الاعتراضات العشرة والرد عليها ...

متى نصل الى الخلاص

الفصل السادس : اجابة أسئلة :

١٦٧ الاختيار

جهاد اللص اليمين ...

كيف خلصوا بدون عماد

باسم الآب والإبن والروح القدس
الإله الواحد آمين

تصدير

هذا الكتاب هو ثمرة محاضرتين ألقاها نيافة الأنبا شنوده (البابا شنوده الثالث) في مؤتمر خدام الوجه البحرى المنعقد في بنها خلال شهرى مارس وابريل سنة ١٩٦٧ ، حينما كان أسقفاً للتعليم .

وقد طُبع في يونيو ١٩٦٧ ، وطلب القراء إعادة طبعه مراراً ، فأعيد نشره بمجلة الكرازة سنة ١٩٧٧ .

وكان قداسة البابا يريد تأجيل طبع هذا الكتاب ، ريثما يعدله ليناسب ما ظهر من أفكار خلال هذه السنوات ، ولكن بناءً على إلحاح الجماهير ، سمح بإعادة طبعه كما هو ، على أن يكون مجرد الجزء الأول من مجموعة كتب يصدرها عن الخلاص ، يتعرض فيها لشرح الإيمان السليم في هذا الموضوع ، ويرد على المفاهيم المخالفة له .

فإلى اللقاء مع كتب أخرى عن بدعة الخلاص فى لحظة ، ودور الكنيسة فى توصيل الخلاص للناس ، ومفعول أسرار الكنيسة ، وعمل الكهنوت ، بشىء من التفصيل . مع الإجابة عن أسئلة الناس ، والرد على ما يثار من أفكار وشكوك .

لجنة أصدقاء الكلية الإكليريكية

تصدير الطبعة الأولى

لنيافة الأنبا غريغور يوس

قال نيافته في مقدمة الكتاب سنة ١٩٦٧ :
هذا البحث الذى كتبه نيافة الأنبا شنوده أسقف المعاهد الدينية
والتربية الكنسية، بحث يمتاز بالوضوح والدقة والشمول، فى موضوع من
أهم الموضوعات التى تشغل أذهان المؤمنين فى كل العصور، لأنه يتصل
بقضية « الخلاص » وهى غاية الإيمان، وتاج الرجاء المسيحى ...

فيه ترى التعليم الأرثوذكسى القويم، مؤيداً بمنطق سليم واستخدام
صحيح للنصوص المقدسة، كاشفاً الأغاليط ...

إننى أشهد أن هذا الكتاب القيم يمكن أن يعالج موضوع
« الخلاص » لأول مرة معالجة وافية، تكفى لأن تعطى صورة مشرقة
صادقة لتعليم كنيستنا الأرثوذكسية فى مشكلة الخلاص .

غريغور يوس

بنعمة الله أسقف عام

للدراستات العليا والثقافة القبطية والبحث العلمى

مقدمة

خطورة استخدام "الآية الواحدة" !

في موضوع الخلاص أيها الأخوة - كما في أى موضوع آخر - احترسوا جدا من خطورة استخدام آية واحدة من الكتاب المقدس . ان الكتاب المقدس ليس هو مجرد آية أو آيات ، وانما هو روح معينة تتمشى فى الكتاب كله .
الشخص الجاهل يضع أمامه آية واحدة ، أو أجزاء من آية ، فاصلا اياها عن ظروفها وملابساتها وعن المعنى العام كله . أما الباحث الحكيم ، الذى يتوخى الحق ، فانه يجمع كل النصوص التى تتعلق بموضوع بحثه ، ويرى على أى شىء قبل . . .

وفي موضوع الخلاص ، نرى أمثلة من خطورة الآية الواحدة :

آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل

بيتك (أع ١٦ : ٣١)



هذه الآية يتخذها البعض برهانا على الخلاص بلايمان فقط !! لأن فيها يقول بولس الرسول لسجان فيلبى :
« آمن . . . فتخلص . . . » (أع ١٦ : ٣١) . وينسى الذين يستخدمون هذه الآية عدة أمور هي : لمن قيلت . . .؟ وتكلمة

الآية ؟ ٠٠ وماذا حدث بعدها ؟ ٠٠ والآيات الأخرى المتعلقة بالموضوع .

١ - أولا : قيلت هذه الآية لرجل أممي ، غير مؤمن ، مهما فعل من أعمال صالحة فلن تجديه شيئا بدون الايمان بالمسيح !! لذلك كان لابد من ارشاده الى الخطوة الأولى التي بدونها لا يمكن أن ينال شيئا من الخلاص . فاذا خطا هذه الخطوة ، يمكن ارشاده الى ما يتلوها من خطوات ٠٠٠ لم يكن مناسباً أن يكلم الرسولان هذا السجنان عن أهمية الأعمال الصالحة ، لأنها بالنسبة اليه لا يمكن أن تفيده وهو غير مؤمن ٠٠٠ والوضع السليم أن يتدرجا معه خطوة خطوة ، حتى يصل .

٢ - والخطوة الأولى تستخدم أحيانا في الكتاب المقدس للدلالة على العمل كله الذي يبدأ بتلك الخطوة .

مثال ذلك قول سمعان الشيخ عندما حمل المسيح الطفل بين ذراعيه : « الآن يا رب تطلق عبدك حسب قولك بسلام ، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك ٠٠٠ » (لو ٢: ٢٨-٣١) بينما أن سمعان الشيخ لم يبصر خلاص الرب الذي لم يتم الا بدم المسيح على الصليب ، عندما دفع الرب ثمن الخطيئة بموته عنا !! ولكن سمعان أبصر فقط تجسد الرب وميلاده . ولما كان تجسد الرب هو الخطوة التنفيذية الأولى التي تؤدي الى الخلاص ، لذلك قال سمعان الشيخ في ثقة : « لأن عيني قد أبصرتا خلاصك ٠٠٠ »

وبهذا الأسلوب تقريبا ، تحدث بولس وسيلا مع سجان فيلبى ، ليس على أن ايمانه فقط هو الذى سيخلصه ويخلص أهل بيته ، وانما على أنه الخطوة الأولى التى تؤدى الى كل ذلك .

ولعله بهذا الأسلوب أيضا ، لما وعد زكا بأن يرد ما سلبه من الناس أربعة أضعاف ، قال له الرب : « اليوم حصل خلاص لهذا البيت » (لو ١٩ : ٩) . . . أى أن توبة زكا هى الخطوة الأولى التى تؤدى الى خلاص البيت . .

٣ - وأكبر دليل على أن المقصود بهذا الخلاص هو الخطوة الأولى المؤدية اليه ، هو قول الرسول لهذا السجان : « فتخلص انت وأهل بيتك » .

اذ كيف يمكن أن يخلص أهل بيته بمجرد ايمانه ؟! . هل ايمان انسان يخلص شخصا آخر ؟! . ولكن الوضع السليم هو أن ايمان هذا الشخص هو مجرد الخطوة الأولى التى ستقوده الى الخلاص عندما يعتمد باسم يسوع المسيح ، وأيضا سيقنع أسرته بالايمان ويكون فاتحة خير للأسرة ، وهكذا يخلص هو وأهل بيته . . .

٤ - ولذلك نرى أن هذه الآية كان لها تكملة ، اذ يقول الكتاب أن بولس وسيلا « كلماه وجميع من فى بيته بكلمة الرب . . . واعتمد فى الحال هو والذين له أجمعون » .

٥ - ونحن اذا أخذنا هذه الآية : « آمن بالرب يسوع
فتخلص أنت واهل بيتك » ، انما يجب أن نضع الى جوارها
آيات أخرى لنكمل فهم الموضوع . وسأذكر لكم مثالا بسيطا
له دلالة القوية :

تقدم شاب الى السيد المسيح ليسأله : « أى صلاح أعمل
لتكون لى الحياة الأبدية ؟ » (مت ١٩ : ١٦) ، فلم يقل له
السيد المسيح : « آمن فتخلص » ، وانما قال له : « ان أردت
ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا » .

هل نجرؤ نحن ونقول ان مجرد حفظ الوصايا كاف
للخلاص ، بدون ايمان ، وبدون معمودية ، وبدون أسرار !!؟
كلا اننا لا يمكن أن نخطئ الى أنفسنا ولا الى الناس ولا الى
الايمان ذاته باستخدام الآية الواحدة . . .

في هذا المثال أيضا نجد أن الشاب عندما قال عن الوصايا:
« هذه كلها حفظتها منذ حدثتى ، فماذا يعوزنى بعد ؟ »
حينئذ قال له ربنا يسوع : « ان أردت أن تكون كاملا ، فاذهب
وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء وتعال
اتبعنى ، . هنا أيضا لم يحدثه السيد المسيح عن الايمان .
ولا عن النعمة . . . فهل نستخدم نحن هذا المثال لنقلل من
قيمة الايمان ، اذ لم يرد له ذكر فى حديث الرب عن نوال
الحياة الأبدية !؟

كلا ، حاشا لنا أن نفعل هذا ونستخدم الآية الواحدة .
فلكل مجال الكلام اللائق به . وفي هذا المثال كلم الرب الشياخ
الغنى بما يناسب حالته وبما يعالج أمراضه الداخلية
الأصيلة . . .

نتناول آية أخرى من التي يستعملها البروتستانت وهم
يجرى فى مجراهم . . .

« فإذا قد تبررنا بالإيمان ، لنا سلام مع الله » . . .

(رو ٥ : ١)



يأتيك انسان من الذين يهتمون بالآية الواحدة ، ويقول لك :
هوذا أمامك آية صريحة تقول ان التبرير بالايمان ، فلا داعى
لأن تجادل أو تفتح فمك ! هل تنكر الآية أو تعارض كلام
الله ! . . .

لا يا اخي ، نحن لا ننكر الآية ، ولا نعارض كلام الله .
ولكننا نضع الى جوار هذه الآية آية أخرى من نفس رسالة
بولس الرسول الى أهل رومية ، ونرى ماذا يمكن أن تفهمه
من الآية . يقول الرسول : « لأن ليس الذين يسمعون الناموس
هم ابرار عند الله ، بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون »
(رو ٢ : ١٣) .

هنا كلام عن تبرير من يعمل بالناموس . هل نسمع

لأنفسنا أن نخطيء ونستخدم الآية الواحدة ، ونقول ان الأعمال وحدها هي التي تخلص ، معتمدين على قول الرسول : « بل الذين يعملون بالناموس هم يبررون »؟! كلا ، بل نحن نضع الآيتين معا (رو ٢ : ١٣) ، (رو ١ : ٥) ونخرج بتعليم صحيح يتفق مع كلام الله ، وهو أن عمل الايمان في التبرير لا ينكر أهمية الأعمال ، ولزوم الأعمال للتبرير لا ينكر قيمة الايمان

هذه الآية التي تقول « اذ قد تبررنا بالايمان » ، نضع الى جوارها آية أخرى هي « ترون اذن أنه بالأعمال يتبرر الانسان ، لا بالايمان وحده . كذلك راحب الزانية أيضا ، أما تبررت بالأعمال ، اذ قبلت الرسل وأخرجتهم في طريق آخر » (يع ٢ : ٢٤ ، ٢٥)



نأخذ آية أخرى :

« . . . وأما الذي لا يعمل ، ولكن يؤمن بالذي يبرر الفاجر ، فإيمانه يحسب له برآء » (رو ٤ : ٥)



فهل تعنى هذه الآية أن الله يبرر الفاجر اذا ثبت في فجوره دون عمل التوبة؟! حاشا . اذن لكى نفهم هذه الآية فلنضع أمامها آيات أخرى توضحها . ولنبدأ بآية من نفس الرسالة

الى رومية حيث يقول الرسول (١٨:١) : « لأن غضب الله
معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم » .

ونضيف اليها آية أخرى من الرسالة الثانية لبطرس
الرسول : « واذ رمد مدينتي سدوم وعمورة ، حكم عليهما
بالانقلاب ، واضعا عبرة للعتيدين أن يفجروا » (٢بط٢:٦) .
وهكذا أظهر لنا الرسول أن الفاجر يشترك في مصير سدوم
وعمورة .

وهذا أيضا يشرحه معلمنا يهوذا الرسول اذ يقول : « وتنبأ
عن هؤلاء أيضا أخنوخ السابع من آدم » ، قائلا : « هوذا قد
جاء الرب في ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ،
ويعاقب جميع فجارهم ، على جميع أعمال فجورهم التي فجروا
بها » (يه ١٤،١٥) .

لا يمكن أن نفهم اذن من الآية التي قالها بولس الرسول
أنه يكفي للفاجر أن يؤمن فقط لكي يخلص ، مع بقائه
في فجوره . فان بولس نفسه أندرنا في صراحة تامة قائلا :
« لا تضلوا . لا زناة ، ولا عبدة أوثان ، ولا فاسقون ،
ولا مابونون ، ولا مضاجعو ذكور . . . يرثون ملكوت الله »
(١ كو ٦: ٩،١٠) .

أما عبارة « لا يعمل » فلعل المقصود بها هنا أعمال الناموس
الطقسية ، كالتحтан بالذات كما يظهر من باقى النص
(رو ٥ : ٦ - ١٢)

لا يصح مطلقا ايها الأحباء أن نسير بطريقة الآية الواحدة ،
فهي طريقة خاطئة وخطرة وغير أرثوذكسية •

ان أتاك أحد فى يوم من الأيام بآية من الآيات ، مهما كانت
صريحة وواضحة ، فقل له : أنا لا تنفعنى الآية الواحدة •
لنضع أمامنا جميع النصوص التى تتعلق بهذا الموضوع ،
ثم نتفاهم معا • احترسوا من أن تخدعكم الآية الواحدة ،
فربما لها مناسبة معينة • وربما لها تكلمة ، وهذه التكلمة
هى التى توضح معناها • وسأضرب لكم لذلك بعض
الأمثلة •

آيات ، تكلمتها توضحها

يقول بولس الرسول فى رسالته الى أفسس (٩:٢) :
« لأنكم بالنعمة مخلصون ، بالإيمان • وذلك ليس منكم ،
هو عطية الله • ليس من أعمال كى لا يفتخر أحد » •

هذه آية قد تبدو صريحة • ولكن تمهل قليلا ، وقرأ الآية
التي بعدها مباشرة (أف ٢ : ١٠) ، يقول : « لأننا نحن عمله
مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدها
لكى نسلك فيها » • اذن لا يليق أن نخطف آية ونجرى ،
قائلين فى خفة : ان الموضوع قد انتهى •

■ لنأخذ مثالا آخر • يقول بولس الرسول :

« فان كان بالنعمة ، فليس بعد بالأعمال ، والا فليست
النعمة بعد نعمة » (رو ١١ : ٦)

ما أجمل أن نتروى قليلا ، ونتابع ما يقوله الرسول في
نفس الاصحاح ، حيث يستطرد : « أنت بالايان ثبت
لا تستكبر بل خف . لأنه ان كان الله لم يشفق على الأغصان
الطبيعية ، فلعله لا يشفق عليك أيضا . فهوذا لطف الله
وصرامته ، أما الصرامة فعلى الذين سقطوا . واما اللطف فلك ،
ان ثبت في اللطف ، والا فانت أيضا ستقطع » .
(رو ١١ : ١٠ - ٢٢)

ما معنى هذا الكلام ؟ . معناه أنك نلت خلاصا بدم
المسيح ، ولكن يجب أن تثبت فيه ، والا فانك ستفقدده اذا لم
تعمل أعمالا تليق بالتوبة . لأن الغصن الذي يقطع من
الشجرة يهلك ويموت .

■ مثال آخر ، يقول بولس الرسول :

« فاين الافتخار ؟ . قد انتفى . باى ناموس ، ابناموس
الأعمال ؟ . كلا ، بل بناموس الايمان . اننا نحسب أن
الانسان يتبرر بالايمان دون أعمال الناموس » .
(رو ٣ : ٢٧ ، ٢٨)

ان قرأنا آية مثل هذه ، فلا يصح أن نتسرع ، بل نتابع
القراءة لنرى ماذا يقول الرسول بعدها . انه يستطرد قائلا

بعد هذه الآية مباشرة : « أفنبطل الناموس بالايمان حاشا ،
بل نثبت الناموس » (رو ٣ : ٣١)

■ مثال آخر ، يقول بولس الرسول :

« ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه ، لا بأعمال
فى بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد
الثانى وتجديد الروح القدس . . . » (تى ٣ : ٤-٦)

لاحظوا أن هذه الآية بالذات تتحدث عن الخلاص بالمعمودية
وعمل الروح القدس . أما من جهة الأعمال ، فاننا اذا أكملنا
ما يقوله الرسول نجده يستطرد مباشرة : « صادقة هى
الكلمة ، وأريد أن تقرر هذه الأمور ، لكى يهتم الذين آمنوا
بالله أن يمارسوا أعمالا حسنة . فان هذه الأمور هى الحسنة
والنافعة للناس » (تى ٣ : ٨) .

اننى أيتها الاخوة الأحباء لست فى هذه المقدمة أناقش
موضوع الايمان والأعمال ، فموعده فى هذه المحاضرة لم يأت
بعد . انما أريد فقط أن أوجه الاهتمام الى هذه القاعدة
وحدها وهى خطورة استخدام الآية الواحدة .

ونحن أنفسنا ، لا نسمح لذواتنا بتاتا أن نستخدم هذه
الطريقة الخطرة الضارة .

اننا لا نستغل « الآية الواحدة » لصالحنا

فمثلا ان وجدنا يوحنا الرسول يقول :
■ « ان علمتم انه بار هو ، فاعلموا ان كل من يصنع البر
مولود منه » (١ يو ٢: ٢٩)

ان قرأنا مثل هذه الآية ، فلا يمكن أن نقول ان الولادة
الجديدة تتوقف على الأعمال وحدها ، وانما مع هذه الآية نذكر
الايمان والمعمودية وأسرار الكنيسة التي لم تتضمنها الآية
مطلقا من حيث اللفظ .

وبالمثل أيضا اذا قرأنا ليوحنا الرسول قوله :
■ « نحن نعلم اننا قد انتقلنا من الموت الى الحياة ، لاننا
نحب الاخوة » (١ يو ٣: ١٤)

فلا يمكن أن نتخذ هذه الآية دليلا على أن المحبة وحدها
كافية لتخليص الانسان ، ونقله من الموت الى الحياة !!

وكذلك بنفس الأسلوب لا يمكن أن نستغل الآية التي تقول :
■ « الله محبة . ومن يثبت في المحبة يثبت في الله والله
فيه » (١ يو ٤: ١٦)

وبنفس الأسلوب لا يمكن أن نستغل أية آية من الآيات

التي تتحدث عن الأعمال وأهميتها • مثل قول السيد المسيح للشباب الغنى :

■ « ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا »

(مت ١٩: ١٧)

هل مجرد حفظ الوصايا وحده يكفي ، بدون ايمان وبدون معمودية؟! كلا ، بلا شك • أما الآية فتفهم بمعنى آخر يتفق مع الملابس التي أحاطت بها • وهكذا أيها الأحياء ، علينا أن نتذكر باستمرار - في تعرفنا على الايمان السليم - تلك الآية الجميلة التي تقول :

■ « لا احرف بل الروح • لأن الحرف يقتل ، ولكن الروح

يحيى » (٢ كو ٦: ٣)

فلنبحث اذن عن مفهوم الخلاص مقتادين بروح الكتاب ، لا بحرفه • محاولين أن نجمع في صعيد واحد النصوص المتعددة التي تتناول الموضوع • لنطرق موضوعنا من جميع نواحيه لا من زاوية واحدة فقط ، ولا في ملابس معينة فقط •

ونصيحتي لكم أن تبهلوا عن قراءة الكتب الغريبة ، التي تبعدكم عن الايمان السليم • ونصيحتي أيضا أن تبحثوا الموضوع في تواضع كثير ، لأن الاعتداد بالذات ، في الأمور اللاهوتية ، قاد كثيرين الى الهرطقة •

بعد هذه المقدمة الوجيزة نتحدث عن الخلاص في المفهوم الأرثوذكسي ووسائطه •

الفصل الأول

لاخِلاصَ الآثِمِينَ بدمِ المسيحِ وحده

لا ايمان ولا اعمال بدون هذا الدم • ان الايمان هو ايمان
بدم المسيح ، والأعمال هي أعمال مؤسنة على استحقاقات
دم المسيح • وكما يقول الرسول بولس : « بدون سفك دم
لا تحدث مغفرة (عب ٩: ٢٢)

فما هو اذن مركز دم المسيح في قضية الخلاص ؟ وما هو
مركز الايمان ؟ • وما هو مركز الأعمال ؟ •

•• الأعمال بدون دم المسيح ••

لا يوجد خلاص الا بدم المسيح • جميع الأعمال الصالحة
مهما سمت ، مهما علت ، مهما كملت ، لا يمكن أن تخلص
الانسان بدون دم المسيح • لذلك فان الأبرار الذين ارضوا
الرب بأعمالهم الصالحة في العهد القديم ، انتظروا هم أيضا
في الجحيم الى أن أخرجهم منه السيد المسيح بعد صلبه •

ان الأعمال الصالحة وحدها لا يمكن أن تخلص الانسان بدون
الايمان بدم المسيح . والا كان الوثنيون ذوو الأعمال الصالحة
يخلصون بأعمالهم !! حاشا .

وكقاعدة عامة أقولها لكم :

جميع الآيات التي وردت في الكتاب المقدس تهاجم الأعمال،
هي عن الأعمال وحدها بدون دم المسيح ، أو عن أعمال
الناموس (الخاصة بشريعة العهد القديم) .

لأنه بدون دم المسيح لا يمكن للأعمال أن تفيد شيئا . .

لذلك عندما يقول الرسول : « لا بأعمال في بر عملناها »
(تى ٣ : ٥) ، أو عندما يقول : « ليس من أعمال كيلا يفتخر
أحد » (أف ٢ : ٩) ، انما يقصد الأعمال وحدها بدون دم
المسيح . وهكذا ان وجد انسان يعمل أعمالا صالحة ، وهو
غير مؤمن ، فان بر الناموس هذا لا يفيد شيئا ، وأعماله
الصالحة وحدها لا تخلصه بدون الايمان .

مثل هذا الشخص غير المؤمن ، تقول له : ان أعمالك كلها
لا تكفى . آمن بالرب يسوع فتخلص .

هناك فرق جوهري أساسى بين الكلام الذى يقال للمؤمن ،
والكلام الذى يقال لغير المؤمن . فى حديثك مع غير المؤمن ،
يجب أن تحطم جميع الأعمال . كلها بدون دم المسيح لا تفيد

شيئاً • مثل هذا تقول له : ان أعمالك لا تخلصك ••• الذى
يخلصك هو دم المسيح • ان دم المسيح هو نقطة البدء فى
موضوع الخلاص •

ولكن بعد أن يؤمن ، ينبغى أن تحدثه عن الأعمال الصالحة
التي تليق بايمانه ، لأن الايمان بدون أعمال ميت •
(يع ٢ : ٢٠)

لماذا لا يكون الخلاص الا بدم المسيح ؟••

١ - الخطية هي عصيان لله ، وتعبد على حقوقه ، وعدم
محبة له ••• والله غير محدود ، اذن فالخطية غير محدودة لأنها
موجهة ضد الله غير المحدود • ومهما عمل الانسان فان أعماله
محدودة • لذلك لا تغفر الخطية الا كفارة غير محدودة ••
ولا يوجد غير محدود الا الله • لذلك لم يكن هناك حل لمغفرة
الخطية سوى أن يتجسد الله ذاته ويموت • ويكون موته كفارة
غير محدودة ، توفى عدل الله غير المحدود ، فى الاقتصاص من
الخطية غير المحدودة • الموجهة ضد الله غير المحدود •

٢ - هذا الكلام ينطبق على خطيئة آدم كما ينطبق على
خطية أى انسان ، لأن الخطية هي الخطية ، وعدل الله هو هو ،
وعقاب الخطية الذى هو الموت هو هو ، كما فى العهد القديم
كذلك فى العهد الجديد ومعروف أن « الجميع أخطأوا وزاغوا

وأعوزهم مجد الله • ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحدا
(رو ٣: ٢٣، ١٢) • وهكذا وقع حكم الموت على الجميع •
واستد كل فم وصار العالم كله تحت قصاص من الله
(رو ٣: ١٩) • ولم تعد هناك وسيلة للخلاص غير نعمة
الله تفتقدنا ، وقد افتقدتنا فعلا وخلصتنا بدم المسيح الذي
به وحده الخلاص •

٣ - من أجل هذا قال معلمنا بولس الرسول : « متبررين
مجانا بنعمته بالفداء الذي ببسوع المسيح ، الذي قدمه الله
كفارة بالايمان بدمه لاطهار بره من أجل الصنوع عن الخطايا
السابقة » (رو ٣: ٢٥) • وقال أيضا : « الذي خلصنا ودعانا
دعوة مقدسة ، لا بمقتضى أعمالنا ، بل بمقتضى القصد والنعمة
التي أعطيت لنا » (٢ تي ١: ٩) • وقال أيضا : « لا بأعمال
في بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد
الثاني وتجديد الروح القدس » (تي ٣: ٥، ٤) • وقال أيضا :
« لأنكم بالنعمة مخلصون ، بالايمان • وذلك ليس منكم ،
هو عطية الله • ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد » (أف ٢: ٨)
وقال أيضا : « فان كان بالنعمة ، فليس بعد بالأعمال ،
والا فليست النعمة بعد نعمة » (رو ١١: ٦) •

اننا نورد هذه الآيات التي يستخدمها البروتستانت ،
ولا نجثها ، لأننا لا ننكر نعمة الله علينا ، ولا ننكر خلاص
الله المجاني الذي أعطاه لنا ، ولا ننكر أننا كنا كلنا « أمواتا

بالذنوب والخطايا » (أف ٢: ١) ، ولولا دمه الأقدس لهلكنا جميعا .

ولكننا نضع هذه الآيات فى موضعها الحقيقى . ونعترف
أننا خلصنا بدم المسيح .

٤ - ولكننا نقول ان دم المسيح شىء ، واستحقاق دم المسيح شىء آخر . ان دم المسيح كاف لمغفرة خطايا العالم كله ، فهل حظى العالم كله بالغفران؟! لقد « أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد » (يو ٣: ١٦) فهل خلص العالم كله بهذا البذل ، أم خلص فقط (كل من يؤمن به) ؟

اذن فدم المسيح موجود ، مستعد أن يخلص ، وكاف للخلاص . ولكن للخلاص شروطا يجب أن تستوفى حتى يكون الخاطئ مستحقا لهذا الدم الذى به الخلاص . وهكذا أيضا يقول يوحنا الحبيب فى رسالته الأولى عن المسيح انه « كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضا » (١ يو ٢: ٢) . كفارة المسيح اذن غير محدودة، تكفى لمغفرة جميع الخطايا لجميع الناس فى جميع الأجيال ، فى الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل .

ولكن مع وجود دم المسيح هناك أشخاص هلكوا ، وأشخاص يهلكون ، وأشخاص سيهلكون ! ذلك لأن استحقاقات دم المسيح لها شروط معينة .

شروط الخلاص بدم المسيح

أريد من جهة هذه الشروط أن أضع أمامكم أربعة أمور جوهرية جدا وهي :

- ١ - الإيمان
- ٢ - المعمودية
- ٣ - الأسرار الكنسية اللازمة للخلاص
- ٤ - الأعمال الصالحة

الإيمان

١ - شرط الإيمان :

الإيمان شرط أساسي لاستحقاق دم المسيح . وهكذا قال السيد المسيح عن نفسه : « ... لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦)

وتظهر أهمية هذا الشرط لاستحقاق دم المسيح ، من قول الكتاب فى نفس الاصحاح من فم السيد المسيح نفسه : « الذى يؤمن به لا يبدان . والذى لا يؤمن قد دين ، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد » (يو ٣ : ١٨)

ويظهر هذا الشرط أيضا من قول يوحنا الرسول فى خاتمة انجيله : « ٠٠٠ وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله ، ولكى تكون لكم اذا آمنتم حياة باسمه » (يو ٢٠: ٣١) . هناك شرط اذن وهو أن الخلاص يكون لكم اذا آمنتم .

وبهذا وعظ بولس الرسول فى أنطاكية قائلا : « ٠٠٠ انه بهذا ينادى لكم بغفران الخطايا . وبهذا يتبرر كل من يؤمن ٠٠٠ » (أع ١٣: ٣٨، ٣٩) .

وقد وضع ربنا يسوع المسيح أنه بدون شرط الايمان هذا لا يمكن أن يكون خلاص بقوله لليهود : « ان لم تؤمنوا انى انا هو ، تموتون فى خطاياكم » (يو ٨: ٢٤)

ما أخطر هذه العبارة « تموتون فى خطاياكم » ! دم المسيح موجود ، قادر أن يخلص . ولكنه لا يمكن أن يخلصك بدونك .

يجب أن تقدم شرط الايمان ، لكى تخلص بدم المسيح . انه الشرط الأول ، ولكنه ليس الشرط الوحيد . انه الخطوة التى تؤهلك للمعمودية .

شرط الايمان هذا ورد فى قول بولس وسيلا لحافظ السجن « آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك » (أع ١٦: ٣١)

كلمة ما هو الايمان ؟

3 من كلمة الايمان كلمة واسعة جدا جدا ، تدخل فيها أمور كثيرة . وأن كان بولس الرسول قد قال اننا « قد تبررنا بالايمان » (روم ٥ : ١١) ، فماذا يقصد بهذا الايمان الذي قد تبررنا به ؟

لذلك يضع بولس الرسول امامنا سؤالا خطيرا جدا في موهبة الايمان . اذ يقول : « جربوا انفسكم ، هل انتم في الايمان ؟ امتحنوا انفسكم » (٢ كور ١٣ : ٥) اذن لابد ان نخبر انفسنا ونرى هل نحن حقاً في الايمان أم لا . ما هو هذا الايمان ؟

ايمان حى

ان الايمان اللازم للخلاص لابد أن يكون ايمانا حيا . وهذا الأمر وضحه على أكمل وجه معلمنا يعقوب الرسول اذ قال : « ان الايمان بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٠) . وكرر هذا المعنى قائلا : « لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت ، هكذا الايمان أيضا بدون أعمال ميت » (يع ٢ : ٢٦) .

ومثل هذا الايمان الميت ، أى الخالى من الأعمال ، لا يقدر أن يخلص أحدا . وهكذا يقول معلمنا يعقوب الرسول : « ما المنفعة يا اخوتى ان قال أحد ان له ايمانا ولكن ليس له أعمال ؟! هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟! » (يع ٢ : ١٤) .

حقا ان الرسول قد قال اننا قد تبررنا بالايمان • ولكن
هذا الايمان له صفتان هامتان • ايمان حى وايمان عامل •
وفى هاتين الصفتين كليهما نرى الأعمال الصالحة •

ولا نظن ان احدا من البروتستانت - مهما أنكر الأعمال -
يستطيع فى أمر الخلاص أن يعلم بالايمان غير العامل •
فالرسول يقول : « ان الشياطين يؤمنون ويقشعرون » •
(يع ٢ : ١٩)

فهل تقصد بالايمان أيها الأخ ايماننا من نوع ايمان
الشياطين الذين ليست لهم أعمال صالحة ، وانما هم يؤمنون ،
ويقشعرون من هول شرورهم وفسادهم !!! •••

ان عبارة الايمان الحى العامل قد تتسع فى مداها حتى
تشمل الحياة الروحية كلها • كيف يمكن أن تشمل الحياة
الروحية كلها ؟ ••• أميلوا أذانكم أيها الاخوة الأحباء الى قول
الرسول •

الايان العامل بالمحبة •••

قال بولس الرسول : « لانه فى المسيح يسوع لا اُختان
ينفع شيئا ولا الغرلة بل الايمان العامل بالمحبة » (غل ٥ : ٦)
فماذا تعنى صفة « العامل بالمحبة » ما هى هذه المحبة ، وكيف
تكون ؟ •••

ان هذه المحبة شرحها بولس الرسول ، مستدلا عليها
بجمهرة من الأعمال الصالحة ، اذ قال : « المحبة تتأني وترفق -
المحبة لا تحسد • المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ، ولا تقبح
ولا تطلب ما لنفسها ، ولا تحتد ، ولا تظن السوء ، ولا تفرح
بالاثم بل تفرح بالحق ، وتحتمل كل شيء ، وتصدق كل شيء ،
وترجو كل شيء ، وتصبر على كل شيء » (١ كو ١٣ : ٤-٧) •

**فاذا كان الايمان هو هذا الايمان العامل بالمحبة ، فانه
سيشمل ولا شك هذه الصفات كلها ، وكلها أعمال •** هنا
تبدو المسيحية في جوهرها ، أنها ليست مجرد آية ، وانما
هى روح وحياة (يو ٦ : ٦٣) • حقا كما قال الكتاب ان الحرف
يقتل ولكن الروح يحيى ••• الحرف يقول لك ان هناك
شيئا اسمه الايمان ، وأما الروح فيشرح لك كنه الايمان
وأنة يشمل الأعمال الصالحة كلها •

**فهل اخوتنا المعارضون يقصدون الايمان بهذا المعنى
الواسع الذى يشمل الحياة الروحية كلها ، وهل يقصدون
الايمان بالمعنى الكبير الذى أشار اليه بولس الرسول فى
الاصحاح الحادى عشر من الرسالة الى العبرانيين عند حديثه
عن رجال الايمان ؟ أم هم يقصدون مجرد الايمان خلوا
من صفاته السابق ذكرها ؟!**

ان كان الأمر هكذا فلنتناقش ، لكى ما نرى هل يقدر
هذا الايمان أن يخلصهم حسبما تعجب يعقوب الرسول •

٣ - الإيمان والمحبة ٠٠٠

ان الذين يقولون ان الايمان وحده هو الذى يببر
الانسان ، ويوقفون الايمان كعنصر قائم بذاته ، بعيدا عن
الأعمال ، هؤلاء لا أوقفهم أنا ، بل يوقفهم بولس الرسول
+ امام آية جبارة هى قوله : « ان كان لى كل الايمان حتى انقل
الجبال وليست لى محبة فلست شيئا » (١ كو ١٣ : ٢) ٠٠
فهل تريدون ايمانا أكثر من هذا ؟ ٠٠٠

وأنت أيها الأخ ، مهما ارتفعت فى الايمان ، ما هى أقصى
درجة ستصل اليها ؟ ٠٠٠ هل ستصل الى كل الايمان الذى
ينقل الجبال ؟ ٠٠٠ صدقنى ، حتى لو وصلت الى هذه الدرجة
ايضا ، وليست لك محبة ، فلست شيئا ! لا يستطيع هذا
الايمان أن يخلصك أنت ٠٠ ! ٠٠ ان كان بولس الرسول
بكل ايمانه ، ليس شيئا بدون المحبة ، فكم بالأولى أنت .

لهذا فان الرسول وضع المحبة فى درجة أعظم من الايمان .
اذ قال : « أما الآن فيثبت الايمان والرجاء والمحبة ، هذه
الثلاثة وأعظمهن المحبة (١ كو ١٣ : ١٣) .

٤ - المؤمنون ، والمختارون :

قلنا ان الايمان ينبغى أن يكون ايمانا حيا وايمانا عاملا
بالمحبة ولكن البعض يبالغ أحيانا فى تعريف كلمة المؤمنين ،
حتى ترادف كلمة « المختارين » .

وهكذا ينادى امثال هؤلاء بان المؤمن لا يمكن ان يهلك .
واذا سمعوا أو قرأوا عن مؤمن قد هلك يقولون ان هذا لم
يكن مؤمنا حسب مفهومهم الخاص !! لا شك أن المختارين
لا يمكن أن يهلكوا . ولكن من قال ان المؤمنين هم المختارون؟

ان الكتاب المقدس أعطانا معانى كثيرة لكلمة الايمان :
فذكر مرة : الشياطين يؤمنون ويقشعرون (يوحنا ٢ : ١٩) .
وقال بولس الرسول فى تعريفه للايمان أنه هو الثقة بما
يرجى والايقان بأمر لا ترى (عب ١١ : ١) .

وقد شرح لنا الكتاب أن هناك نوعا من الايمان الميت .
ومع أنه ميت الا أن الرسول سماه ايمانا . كما أعطانا مقلا
عن الايمان الخالى من الأعمال الذى لا يقدر أن يخلص أحدا
(يوحنا ٢ : ٢٠ ، ١٤) . ومع أنه لا يقدر أن يخلص أحدا ، الا
أن الرسول سماه ايمانا .

وقد ذكر الكتاب ان الجميع زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد
الله (روم ٣ : ١٢) ، فهل الجميع لم يكونوا مؤمنين ، وقد
خلت الأرض من الايمان؟! أم أن الله أطلق لقب الايمان حتى
على الذين يخطئون وهم مؤمنون .

ان امثال هؤلاء الخطاة لم يحرمهم الرب من لقب المؤمنين .
فقد قال الرب على لسان أرميا النبى « شعبى عمل شرين :
تركونى أنا ينبوع المياه الحية ، لينقروا لأنفسهم آبارا ، آبارا

مشقة لا تضبط ماء ٠٠٠ شعبي قد نسيني أياما بلا عدد «
(أر ٢ : ١٣ ، ٢٢) ومع كل هذا سماعهم شعبه ٠ كما
قال على لسان اشعياء النبي : « رببت بنين ونشأتهم أما هم
فعضوا على » (أش ١ : ٢) ٠ فعلى الرغم من عصيانهم سماعهم
بنين ٠ ويذكرنا هذا بما قاله عن الابن الضال « ابني هذا
كان ميتا فعاش وكان ضالا فوجد » (لو ١٥ : ٢٤) :
فعلى الرغم من ضلاله وموته الروحي سماه ابنا ٠

وفي قول الرسول « وان كان لى كل الايمان حتى أنقل
الجبال وليست لى محبة فلست شيئا » (١ كو ١٣ : ٢) ،
دليل آخر على اطلاق حالة الايمان على الانسان الخالى من المحبة
الذى هو ليس شيئا ٠

بل ان الرب أطلق لقب المؤمنين على الذين يشبهون
البذار التى سقطت على الصخر ولما نبتت جفت ٠ فقال :
« والذين على الصخر هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة
بفرح ٠ وهؤلاء ليس لهم أصل ، فيؤمنون الى حين ، وفى وقت
التجربة يرتدون » (لو ٨ : ٦ ، ١٣) ٠

وطبعا هؤلاء المرتدون لا يمكن أن نسميهم مختارين مع
أن السيد المسيح له المجد لقبهم بأنهم كانوا مؤمنين الى حين ٠
ويشبه هؤلاء طبعا الذين قال عنهم الرسول : « ولكن الروح
يقول صريحا انه فى الأزمنة الأخيرة برتد قوم عن الايمان
تابعين ارواحا مضلة وتعاليم شياطين » (١ تي ٤ : ١) ٠

وطبعا هؤلاء لا يمكن أن نسميهم مختارين مع أنهم عاشوا في
الايمان قبل أن يرتنوا •

لعله قد وضح الآن كثيرا بأن هناك فرقا كبيرا بين الكلمتين •
ان كل المختارين مؤمنون ولكن ليس كل المؤمنين مختارين ،
اذ قد يرتد بعضهم عن الايمان تابعين أروحا مضلة وتعاليم
شياطين •

على أن هذه النقطة أيها الأحباء لنا رجعة اليها بعد حين،
نتركها الآن قليلا لكي نتحدث عن الشرط الثاني للخلاص
والمدخل الأساسي له وهو المعمودية •



المعمودية

اهمية المعمودية للخلاص

تظهر أهمية المعمودية من قول السيد المسيح لنيقوديموس
« الحق الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر
أن يرى ملكوت الله » (يوحنا ٣ : ٣) • وقد شرح معنى هذه
الولادة ، فأجاب على سؤال نيقوديموس بقوله « الحق الحق
أقول لك : ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن
يدخل ملكوت الله » (يوحنا ٣ : ٥) •

وهذه آية صريحة تعنى أنه بدون المعمودية لا يقدر
الانسان أن يدخل الى الملكوت ، ولا يقدر أن يعاينه . وبهذا
يكون الخلاص عن طريق المعمودية التى يمهد لها الايمان .

وهكذا قال السيد المسيح فى صراحة ووضوح « من آمن
واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) . وهكذا أيضا عندما أرسل
تلاميذه لنشر ملكوته على الأرض قال لهم « فاذهبوا وتلمذوا
جميع الأمم ، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ،
وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩ ، ٢٠) .
وهذه الآية تدل على أن الخلاص يلزمه الايمان الذى يأتى
بالتلمذة ، والمعمودية التى هى الباب المباشر ، والأعمال
الصالحة بحفظ الوصايا . فلو كانت المعمودية غير لازمة
للخلاص ، لكان يكفى أن يقول الرب لتلاميذه : « اذهبوا
وبشروا بالايمان » دون ذكر للمعمودية

ومعلمنا بولس الرسول يشرح كيف أن الخلاص يكون
بالمعمودية ، وكيف أنها هى الميلاد الثانى ، بقوله فى رسالته
الى تلميذه تيطس أسقف كريت ، حيث يقول « ولكن حين
ظهر لطف مخلصنا الله واحسانه ، لا بأعمال فى بر عملناها
نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد
الروح القدس » (تى ٣ : ٤ ، ٥) .

ممارسة المعمودية منذ البدء

هذا المبدأ الذى أسسه السيد المسيح « من آمن واعتمد
خلص » اتبعته الكنيسة منذ البدء ، ففي يوم الخمسين بعد
أن وقف بطرس الرسول رافعا صوته بكلمة الايمان، ونخس
السامعون فى قلوبهم ، « قال لهم بطرس : توبوا وليعتمد كل
واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ،
فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢ : ٣٧ ، ٣٨) . وهذه
الآية صريحة فى أنه يكون بالمعمودية مغفرة الخطايا . وكيف
يخلص الانسان بدون مغفرة خطاياه ؟! اذن فالمعمودية لازمة
لخلاص الانسان ، فيها تغفر خطاياه . وبها يمهد لقبول الروح
القدس .

وعطية الروح القدس ، ننالها فى السر الثانى من أسرار
الكنيسة ، سر المسحة المقدسة ، أو سر الميرون . والآية
السابقة تدل على هذه المعانى كلها .

فى يوم الخمسين بعد أن تكلم بطرس عن المعمودية
« قبلوا كلامه بفرح ، واعتمدوا ، وانضم فى ذلك اليوم نحو
ثلاثة آلاف نفس » . فلو كان الايمان وحده يخلص الانسان
ماذا كانت الحاجة الى أن يعتمد فى يوم واحد ٣٠٠٠ نفس ؟!
ما كان أسهل أن يقول لهم الرسل : « ما دمتم قد آمنتم أيها
الاخوة ، فاذهبوا على بركة الله ، هذا يكفى ، لقد خلصتم
وانتهى الأمر .. » !!

وهكذا نرى أيضا أن الخصى الحبشى بعد أن آمن على يد فيلبس ، قال له مباشرة « ماذا يمنع أن اعتمد ؟ » (أع: ٣٦: ٨) وهكذا نزل به فيلبس الى الماء فعمده . . . وذهب فى طريقه فرحا .

وسجان فيلبى الذى آمن على يدى بولس وسيلا « اعتمد فى الحال هو والذين له أجمعون » (أع : ١٦ : ٣٣) .

وكرنيليوس أيضا الذى ظهر له ملاك الله ، وقال له صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارا أمام الله ، هو أيضا بعد أن كلمه بطرس بكلمة الحياة ، وبعد أن حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة « حينئذ أجاب بطرس : أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضا وأمر أن يعتمدوا باسم الرب » (أع : ١٠ : ٤٧ ، ٤٩) .

وليديا بانعة الأرجوان ، لما آمنت على يد بولس الرسول « اعتمدت هى وأهل بيتها » (أع : ١٦ : ١٥) .

جميلة تلك العبارة التى قالها بولس الرسول عن العماد « لأن كلكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح » (غلا : ٣ : ٢٧) . اذن فى المعمودية يلبس الانسان المسيح .
أى خلاص أعظم من هذا . . .

ان المعمودية هي الباب الذي يدخل منه الانسان الى الخلاص ، والايان تمهيد لها .

نقول هذا لأن كثيرا من البروتستانت يظنون أن الانسان يكفيه ايمانه ليخلصه ! أو يظنون أن الميلاد الثاني يأتي بالايان وليس بالمعمودية ! لا يرون أن المعمودية هي الميلاد الثاني ، على الرغم من صراحة الآية بغسل الميلاد الثاني (تي ٣ : ٥) !!

وأیضا على الرغم من قول الرسول في رسالته الى افسس « أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ، لكي يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة ، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها » (أف ٥ : ٢٥ ، ٢٦) .

« لكي يقدسها مطهرا اياها بغسل الماء بالكلمة » . . البروتستانت ومن اليهم يدعون أن هذه العبارة معناها يقدسها بالكلمة! تاركين عبارة غسل الماء كأن لا معنى لها . .

ان « الكلمة » هنا تعنى التبشير . فماذا تعنى عبارة « غسل الماء » ؟ تعنى المعمودية التي يصل اليها الانسان بالتبشير أى بالكلمة . وهكذا تنطبق وصية السيد المسيح « تلمذوهم . . . وعمدوهم . . . » « تلمذوهم » بالكلمة « وعمدوهم » بغسل الماء .

شرح « أهمية المعمودية » لاهوتيا

ما هو جوهر التعليم المسيحي عن المعمودية كوسيلة للخلاص . لماذا هي لازمة للخلاص ؟ ولماذا لا يمكن لأحد أن يخلص بدونها ؟ المسألة واضحة جدا ، نشرحها فيما يلي :

يقول الكتاب « أجره الخطيئة هي موت » (رو ٦ : ٢٣)
اذن لا بد من الموت ، ولا بد أن طريق الخلاص يبدأ بالموت .
ويستمر الخلاص بالموت وآخر مرحلة للخلاص تأتي بالموت .
يبدأ الخلاص بالموت ، وينتهي بالموت ، ويستمر بالموت ، لأن أجره الخطيئة هي موت .
فما معنى هذا الكلام .

أ - بدأ الخلاص بالموت :

بدأ الخلاص بموت المسيح على الصليب ، حيث دفع ثمن الخطيئة ، واشترانا بدمه . وكيف يصل اليك الخلاص ؟ يصل اليك بالموت . وكيف ذلك ؟ . . . المسيح بموته أعطى الخلاص . ولكي يكون لك أنت نصيب في هذا الخلاص ، لا بد أن تشترك مع المسيح في موته : تموت مع المسيح ، وتقوم معه ، لكي تتمجد معه . ولذلك يقول بولس الرسول « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه ، متشبها بموته » (في ٣ : ١٠) .

ان لم تدخل في هذا الموت ، يلحقك الموت الثاني الذي هو العذاب الأبدي في بحيرة النار (رؤ ٢٠ : ١٤) .

وكيف تدخل في هذا الموت ؟ كيف تشترك مع المسيح
في موته ؟ ان ذلك يتم بالعمودية . ولهذا يقول بولس
الرسول « أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح ،
اعتمدنا لموته . فدنا معه بالعمودية للموت . (رو ٦: ٣، ٤)

وموتنا مع المسيح ، ودفننا معه ، هو الذي يجعلنا
نشترك معه في أمجاد قيامته . ولذلك يقول بولس الرسول
« لأنه ان كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته ، نصير أيضا
بقيامته . . . فان كنا قد متنا مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا
أيضا معه » (رو ٦ : ٥ ، ٨) .

نلخص الموضوع اذن في الكلمات الآتية :

أجرة الخطيئة هي موت . فلا بد أن يموت الانسان
ويدفن . . . ولكن المسيح قد مات عنا . وعلينا أن نشترك
معه في موته ، حتى لا نكون بعيدين عن استحقاقات موت
المسيح . لا يجوز أبدا أن نترك المسيح يموت وحده عنا ،
دون أن نشترك معه في موته ، أو على الأقل نتشبه بموته ،
ندخل في « شركة آلامه متشبهين بموته » وهكذا قال الرسول
« متنا معه . . . دفنا معه . . . قد صرنا متحدين معه بشبه
موته . . . انسانا العتيق قد صلب معه . . . فان كنا قد متنا
مع المسيح نؤمن أننا سنحيا أيضا معه » (رو ٦ : ٣ - ٨) .

وهذا الموت شرحه الكتاب أنه يتم بالمعمودية • نغطس فيها تماما كأننا ندفن في جرن المعمودية ، كما قال بولس : « دفنا معه بالمعمودية للموت » (رو ٦ : ٤) • ثم نقوم من هذا الماء « في جدة الحياة » « عالمين هذا أن انساننا العتيق قد صلب معه ليبطل جسد الخطيئة » •

المعمودية اذن لازمة للخلاص ، لأنها شركة في موت المسيح ، لأنها ايمان بالموت كوسيلة للحياة ، واعتراف بأن أجره الخطيئة هي موت • ان الذين يقولون ان الخلاص يتم بمجرد الايمان وحده ، بدون معمودية ، لم يفهموا بعد ما هو الايمان • فلنحاول أن نناقش الأمر معا لتفهمه :

ما هو الايمان ؟ • هو أن تؤمن أن الخطيئة أجرتها الموت ، وتؤمن أن المسيح قد مات عنك ، وتؤمن أنك يجب أن تموت معه لتحييا أيضا معه • • • وهكذا يقودك الايمان الى ما قلناه :

قلنا ان الخلاص قد بدأ بالموت • موت المسيح • هذا هو الخلاص الذي قد دفع ثمنه ، وقلنا اننا بدأنا أن نحصل على هذا الخلاص بالموت ، اذ متنا مع المسيح ودفنا معه بالمعمودية • هذا هو الخلاص الذي نلناه •

نقول أيضا ان هذا الخلاص يستمر بالموت •

ب - يستمر الخلاص بالموت :

وهكذا يقول بولس الرسول : « كذلك أنتم أيضا ،
احسبوا أنفسكم أمواتا عن الخطيئة ، ولكن أحياء لله بالمسيح
يسوع . . . اذن لا تملكن الخطيئة في جسدكم المائت لكي
تطيعوها في شهواته » (رو ١١: ١٢)

هذا الكلام جميل جدا ، يشرح لنا الايمان الأرثوذكسي
تماما . « لا تملكن الخطيئة في جسدكم المائت » . لقد دخلنا
الخلاص بالموت . ولا بد أن يستمر جسدنا جسدا مائتا عن
الشهوات العالمية . وطالما هو مائت ، فان الخلاص يسرى
فيه . أما ان بدأت شهوات الجسد تقوم من هنا الموت
وتتحرك ، فاننا نكون حينئذ عرضة لأن نفقد الخلاص ، لأن
الخلاص لا يتم الا بالموت .

لذلك فاننا نصلى الى الله في قطع الساعة التاسعة ونقول:
« أمت حواسنا الجسمانية أيها المسيح الهنا ونجنا » .

ولعل هذا تنفيذ لقول الكتاب : « ولكن ان كنتم
بالروح تميئون أعمال الجسد فستحيون (رو ٨: ١٣) .
ألا يقول بولس الرسول : « اذن الموت يعمل فينا » .
(٢ كو ٤: ١٢)

وهكذا يقول بولس الرسول أيضا : « لأننا نحن الأحياء
نسلم دائما للموت من أجل يسوع ، لكي تظهر حياة يسوع

أيضا في جسدنا المائت » (٢ كو ٤ : ١١) • ويقول أيضا :
« ان كان المسيح فيكم ، فاجسد هيت بسبب الخطيئة ، وأما
الروح فحياة بسبب البر » (رو ٨ : ١٠) كما يقول أيضا :
« اننا من أجلك نمت كل النهار • قد حسبنا مثل غنم
للذبيح » (رو ٨ : ٣٦) • وهكذا نعيش « حاملين في الجسد
كل حين اماتة الرب يسوع ، لكي تظهر حياة يسوع أيضا
في جسدنا » (٢ كو ٤ : ١٠)

اذن طالما نسير في طريق الخلاص لابد أن يكون الجسد
ميتا عن الخطيئة ، لابد أن يعمل الموت فينا • انسان يقول
انه قد خلص ، وهو يجب العالم أو الأشياء التي في العالم ،
هذا بالحقيقة واهم « لأن محبة العالم عداوة لله » (يع ٤ : ٤) •
ان الخلاص يستمر بالموت ، موت أعمال الجسد ، موت
شهوات الجسد ، موت عن العالم والمادة وطلباتها المحاربة
للروح •

ما معنى « نخلص بحياته » ••؟

هنا تقف أمامنا الآية التي تقول : « لأنه ان كنا ونحن
أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ، فبالأولى كثيرا ونحن
مصالحون نخلص بحياته » (رو ٥ : ١٠) ما معنى « نخلص
بحياته » ••؟

اما أن يكون معناها اننا نخلص بحياته كشفيع ، ككاهن

الى الأبد على طقس ملكى صادق » يقدر أن يخلص أيضا الى
التمام الذين يتقدمون به الى الله ، اذ هو حى كل حين ليشفع
فيهم » (عب ٧: ٢٥) • فنحن نخلص بحياته كشفيع •
لأننا باستمرار نخطئ • وان أخطأنا » فلنا شفيع عند الآب ،
يسوع المسيح البار » (١ يو ٢: ١)

ونلاحظ هنا أن استمرار شفاعة المسيح فينا ، معناه
استمرار احتياجنا الى الخلاص فى كل حين ، واستمرار عمل
الخلاص فينا •

على أن هناك معنى جميلا آخر لعبارة نخلص بحياته •
وهو قول بولس الرسول : « مع المسيح صلبت ، فأحيا لا أنا
بل المسيح يحيا فى » (غلا ٢: ٢٠) • يقول : « مع المسيح
صلبت » ، هذا هو الموت ، « صلب الجسد مع الأهواء
والشهوات » كما يقول الرسول (غل ٥ : ٢٤) • بهذا
نخلص ، عندما يكون المسيح هو الذى يحيا فينا • وعبارة
« أحيا لا أنا » معناها تسليم الارادة تسليما كاملا للرب •
بحيث يقول الانسان باستمرار : « لتكن لا ارادتى بل
ارادتك » • يكون كأنه ميت ، غير موجود ، يحيا لا هو ،
بل المسيح هو الذى يحيا فيه •

يقول للمسيح : « اننى أخلص بموتك ، وأخلص
بحياتك فى » • وهذه هى الفكرة السليمة عن الخلاص فى

المفهوم الأرثوذكسى : نحن قد خلصنا بموت المسيح عندما
متنا معه فى المعمودية • ونخلص أيضا بحياة المسيح فىنا ،
بتسليمنا الكامل لمشيئته فى حياتنا ، قائلين مع الرسول :
« أحيأ لا أنا بل المسيح يحيا فى » •

ج - يتم الخلاص بالموت :

قلنا ان الخلاص يبدأ بالموت فى المعمودية ، ويستمر بالموت
عن شهوات العالم • فالى متى ••؟ يقول الكتاب : « كن أميناً
الى الموت فسأعطيك اكليل الحياة » (رؤ ٢ : ١٠) • وهكذا
يستمر الموت يعمل فىك ، حتى يموت الجسد فعلاً • طالما
أنت تميت أعمال الجسد ، فأنت ما تزال سائراً فى طريق
الخلاص • ومتى تصل الى نهاية الطريق ••؟ تصل اليها
عندما تموت ، وتنتقل الى العالم الآخر •

أنت اذن ما تزال سائراً فى الطريق • فهل تقف فى
نصفه وتصيح قائلاً : « قد خلصت » ؟! تواضع يا أخى ،
واستمع الى قول الرسول : « انظروا الى نهاية سيرتهم ،
(عب ١٣ : ٧) • لا تفتخر باطلا ، فكثيرون قد بدأوا بالروح
وأكملوا بالجسد (غل ٣ : ٣) •

على أننا سنعرض لهذا الموضوع بالتفصيل ان شاء الله
عندما نتكلم عن اتمام الخلاص •

الأسرار اللازمة للخلاص

هناك أسرار قد لا تلزمك شخصيا لخلصك . فأنت لا تتزوج ، وان كنت ثمرة لزواج . وقد لا تصاب بمرض تحتاج فيه الى سر مسحة المرضى . وقد لا تصير كاهنا وان كنت تحتاج لسر الكهنوت ليقدم لك عمل الروح القدس في الأسرار اللازمة لك شخصيا لخلصك . فأنت يلزمه بلا شك سر المعمودية ، وقد تحدثنا عنه - كذلك يلزمه سر مسحة الروح القدس (الميرون) ، وسر التوبة ، و الأبخارستيا (التناول) .

وستتكم الآن عن أهمية كل من هذه الأسرار على حدة

سر السمي المقدسة

لما دعا بطرس اليهود للمعمودية ، قال لهم : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفر الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس » (أع ٢: ٣٨)
فما هي عطية الروح القدس هذه ؟ وهل هي لازمة في حياتنا للخلاص وما أهميتها وهل يمكن أن نخلص بدونها لا يمكن اطلاقا ان نخلص بدونها ، لأن حياتنا الروح كلها هي عبارة عن استجابة ارادتنا لعمل الروح القدس فينا وان كنا لا نأخذ عطية الروح القدس ، فباطلة وهالكة ه

كل حياتنا • عن هذه النعمة التي أخذناها من سر المسحة المقدسة نصرخ باستمرار ونقول : « روح القدس لا تنزعه منا » ، والا هلكنا •

ان حياتك الروحية لا تعتمد مطلقا على ذراعك البشري ، وانما هي شركة مع الروح القدس كما سنشرح في الفصل الخاص بالجهد والنعمة •

لا بد اذن من سر المسحة المقدسة ، تلك التي تكلم عنها يوحنا الرسول فقال : « وأما أنتم فلکم مسحة من القدس وتعلمون كل شيء » « وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم ، ولا حاجة بكم الى أن يعلمكم أحد ، بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء ، وهي حق » •
(١ يو ٢ : ٢٠ ، ٢٧)

لكي تعرف أهمية الروح القدس لخلاصك ، نسأل سؤالا وهو : هل تستطيع أن تحيا حياة روحية بدون عمل الروح القدس فيك ؟ •• هل تستطيع أن تسير في طريق الخلاص بدون عمل الروح القدس معك ؟ •• لا يمكن • اذن لا بد من المسحة •

لذلك اهتم الرسل بعطية الروح القدس للمؤمنين ، وكانوا ينالونها في بادئ الأمر بوضع ايدي الرسل ، قبل ان يستخدم الميرون •

نرى ذلك واضحا في قصة ايمان السامرة ، حيث اعتبرت مكملة للايمان والعماد • يقول الكتاب : « ولما سمع الرسل

الذين فى اورشليم أن السامرة قبلت كلمة الله ، أرسلوا اليهم بطرس ويوحنا ، اللذين لما نزلا صليبا لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس ، لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم ، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع . حينئذ وضعا الأيادى عليهم ، فقبلوا الروح القدس» (أع ٨: ١٤-١٧) . . . اذن لم تكن المعمودية كافية لأهل السامرة ، بل كان لابد لهم أن يقبلوا الروح القدس .

نفس الكلام أيضا يمكن أن يقال عن ايمان أهل أفسس . لما ذهب بولس هناك وجد تلاميذ . فقال لهم : « هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ؟ » قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس » (أع ١٩: ٢، ٣) اذ كانوا قد اعتمدوا بمعمودية يوحنا فقط . فلما كلمهم بولس : « اعتمدوا باسم الرب يسوع . ولما وضع بولس يديه عليهم . حل الروح القدس عليهم » .

اننا بالمعمودية نشترك مع المسيح فى موته ، وننال البنوة . وبالروح القدس نحيا الحياة اللائقة بنا كبنين وكلا الأمرين لازم خلاصنا .

سر الأختارسيا "التناول"

لكي ندرك أهمية التناول من جسد الرب ودمه ، يكفى من باب الاختصار أن نذكر قول المسيح : « الحق الحق أقول

لكم ! ان لم تاكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه ، فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمي ، فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . . . من يأكل جسدى ويشرب دمي يثبت فى وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٣-٥٨) . هنا نرى الحياة الأبدية متعلقة بالتناول من جسد الرب ، بحيث أن الذى لا يتناول لا تكون له حياة ، أى يهلك . . . أتسأل بعد هذا عن لزوم التناول للخلاص !؟

ان كنا أرثوذكس ونؤمن بالايمان الأرثوذكسى ، فنحن اذن نؤمن بما نقوله فى القداس الالهى عن جسد الرب الذى نتناوله : « يعطى عنا خلاصا ، وغفرانا للخطايا ، وحياة أبدية لكل من يتناول منه » . أيسأل أحد ويقول : « هل ممكن الخلاص بدون تناول ؟ » أقول كلا ، لا يمكن . لأن جسد الرب يعطى عنا خلاصا وغفرانا للخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه .

فكيف نشرح هذا من الناحية اللاهوتية ؟ . . .

ان المعمودية قد خلصتك من الخطيئة الأصلية ، وهذا هو الخلاص الأول الذى نلته . والمعمودية قد صيرتك ابنا لله وجعلتك مستحقا لنوال استحقاقات الدم . ولكنك فى كل يوم تخطئ ، وتحتاج أن تمحى خطيئتكم بالدم « ان قلنا انه ليس لنا خطيئة ، نضل أنفسنا وليس الحق فىنا » (١ يو ١ : ٨)

انت اذن فى كل يوم تخطىء ، وتحتاج الى جسد المسيح
المذبوح عنك • تحتاج الى الذبيحة المقدسة كفارة لخطاياك •
وما الذبيحة المقدسة فى سر الافخارستيا سوى امتداد لذبيحة
المسيح • لذلك لا يمكن أن تخلص من خطاياك بدونها ، هذه
التى تعطى عنا خلاصا وغفرانا للخطايا • كما أن بها نثبت
فى الرب كما قال •

قد يأتىك انسان ويقول لك : أترىد أن تخلص ؟••
اطرح نفسك تحت قدمى المسيح ، وقل له : اقبلنى
يا يسوع !! هذا الكلام يا اخوتى يحتاج الى اجراءات
تنفيذية ••• أترىد أن يقبلك المسيح ؟•• هناك طريق
للخلاص يقبلك به : تموت مع المسيح وتدفن معه بالمعمودية
فيقبلك • تمسح بالروح القدس فيقبلك • تأكل جسده
وتشرب دمه لكى تثبت فيه وبهذا يقبلك • تعترف بخطاياك
فيقبلك ••• هذا هو الطريق العملى الذى يقبلك به الرب •
اما أن تطلب منه قبولك دون أن تسير فى طريقه الذى
رسمه ، فهذا كلام غير لائق •

وبالمثل نقول عن عبارة « سلم حياتك ليسوع » ••• !
ما أسهل أن يلفظ انسان مثل هذا الكلام ، وما أصعب أن
ينفذه ••• هل تظنون أن تسليم الحياة شىء هين ؟! ان كل
جهادنا الروحى يتركز فى هذه العبارة « تسليم الحياة » !
ففيها يسلم الانسان ارادته للرب ، ويسلم قلبه وعواطفه ،

ويسلم عزيمته ، ويسلم فكره أى يعمل أعمالا تليق
بالتوبة .

وان كنا نتكلم عن سر الافخارستيا فلا بد أن نسبقه بكلام
عن سر التوبة .

سر التوبة

هل تلزم التوبة للخلاص . . ؟ نعم ، بل انه بدون التوبة
لا يكون لك خلاص لعلك تسأل : كيف هذا . . ؟ اننى
أمنت وتعمدت وتبررت نعم انك قد تعمدت ، ونجوت
من الخطيئة الأصلية ، ولكن ماذا عن خطاياك الفعلية التى
ترتكبها كل يوم ، أين تهرب منها . . ؟ وكيف تهرب منها ؟

هل الايمان والمعمودية يجعلانك لا تخطىء بعدهما أبدا ؟!
كلا ، بلا شك . هوذا يوحنا الرسول يقرر بأنه « ان قلنا
انه ليس لنا خطيئة نضل أنفسنا وليس الحق فينا »
(١ يو ١ : ٨) ، ذلك لأنه « ليس أحد صالحا الا واحد وهو
الله » (مت ١٩ : ١٧) « لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا »
(يع ٣ : ٢) ، وليس أحد بلا خطيئة ولو كانت حياته يوما
واحداً على الارض كما نصلى فى أوشيه الراقدين فماذا
نقول عن هذه الخطايا كلها . . ؟ كيف يخلص منها الانسان . . ؟
ليس بالتوبة . . ؟

لعل أحداً يهمس فى أذنك قائلاً : « آمن فقط ٠٠٠ آمن
بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك » ٠٠٠ !! ان هذه
الآية أيها الأخ الحبيب قد قلناها فيما مضى قبل المعمودية .
أما عن خطاياك بعد المعمودية فينصحك بخصوصها يوحنا
الرسول قائلاً : « ان اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى
يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل اثم » (١ يو ١ : ٩) وعنها
يقول الكتاب : « من يكتم خطاياهم لا ينجح ٠٠ ومن يقر بها
ويتركها يرحم » (أم ٢٨ : ١٣) ٠٠٠ من أجل هذا وضعت
لنا الكنيسة المقدسة سر التوبة .

فما دام الانسان المؤمن معرضا للسقوط فى كل وقت ،
ومعرضا للهلاك بخطيئته على الرغم من ايمانه ، وما دام
الانسان فى حرب دائمة ضد الخطيئة كثيرا ما يزل فيها ويعثر
ويسقط كل يوم ، لذلك وضع الله لنا التوبة نتجدد بها
ونتطهر ونغتسل من خطيتنا . والتوبة عمل لا ينكر أحد
من البروتستانت أهميته ولزومه ويدخل فى التوبة الندم
والنوح والاعتراف والعزيمة على ترك الخطيئة ، وكلها أعمال .

لا أقول انه بالتوبة وحدها يخلص الانسان ، فالتوبة بدون
دم المسيح لا فائدة منها . ولكنى أقول ان التوبة تجعل
الانسان مستحقا لأن يغتسل ويتطهر بدم المسيح فيخلص .
دم المسيح مثل كنز عظيم ، ولكننا نقرب اليه بالتوبة ،
ونأخذ منه فنغتنى . أما اذا لم نستعمل التوبة ، فان الكنز

يبقى كنزا محتفظا بقيمته ، ونبقى نحن بعيدين عنه ، فقراء
تهلك جوعا • حنان الآب موجود ، والثوب الجديد موجود ،
والعجل المسمن موجود ، ولكن على الابن الضال أن يقترب الى
الآب بالتوبة ليحظى بكل هذه ••• فلنعترف اذن بأن : « الله
أعطى الأمم التوبة للحياة » (أع ١١ : ١٨) •

ان أهمية التوبة يوضحها قول السيد المسيح له المجد :

« ان لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لو ١٣ : ٣) •
فهذه الآية تدل على أن التوبة وسيلة للخلاص تنجي من الهلاك ،
وتدل أيضا على أنه بدون التوبة يهلك الانسان الخاطيء •
« فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضيا
عن أزمنة الجهل » (أع ١٧ : ٣٠) • وليس أن يتوبوا فقط ،
وانما يتبع ذلك أيضا أن يعملوا « أعمالا تليق بالتوبة » •
(أع ٢٦ : ٢٠)

هذه التوبة ينادى بها الرسل القديسون كوسيلة للخلاص

من الهلاك المعد للخطاة • فبطرس الرسول يقول عن الله
انه « يتأني علينا ، وهو لا يشاء أن يهلك أناس ، بل أن يقبل
الجميع الى التوبة » (٢ بط ٣ : ٩) • فهنا مقابلة بين التوبة
والهلاك ، تعنى أن من يقبل الى التوبة يخلص وينجو من الهلاك ،
والعكس بالعكس •••

وبولس الرسول يشرح الغضب المعد لغير التائبين الذين
يتعرضون لدينونة الله العادلة ، فيقول : « أم تستهين بغنى

لطفه وامهاله وطول أناته ، غير عالم أن لطف الله انما يقتادك الى التوبة • ولكنه من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضبا ليوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب أعماله » (رو ٢: ٤-٦) •

هذه التوبة لم يطلبها الله من الأمم فقط ومن غير المؤمنين ، وانما طلبها أيضا فى سفر الرؤيا من ملائكة كنائس آسيا • فقال لملاك كنيسة أفسس « فاذا ذكر من أين سقطت وتب ، واعمل الأعمال الأولى • والا فانى آتيا عن قريب وأزح من مارتك من مكانها ان لم تتب » (رؤ ٢: ٥) • كما طلب التوبة أيضا من ملاك كنيسة برغامس (رؤ ٢: ١٦) • وقال لملاك كنيسة ساردس : « فاذا ذكر كيف أخذت وسمعت واحفظ وتب • فانى ان لم تسهر أقدم عليك كلص ، ولا تعلم أية ساعة أقدم عليك » (رؤ ٣: ٣) • وقال أيضا لملاك كنيسة لاودكيا : « كن غيورا وتب » (رؤ ٣: ١٩) •

لا تظن يا أخى ان خطية آدم وحده هى التى كانت تستحق الموت ، وانما عموما اجرة الخطيئة هى موت • وكل خطية ترتكبها بعد معموديتك يمكن أن تكون سببا فى هلاكك ، ان لم تتب •

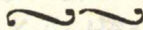
وسر التوبة فى الكنيسة يسمى أيضا سر الاعتراف • فانت تحتاج أن تأتى وتقر بخطاياك لكى تأخذ عنها حلا من الكاهن فتغفر لك • وقد مارست الكنيسة المقدسة سر

الاعتراف منذ البدء • ففي أيام الرسل يقول الكتاب : « كان
كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين ومخبرين بأفعالهم »
(أع ١٩ : ١٨) • وحتى قبل الرسل يقول الكتاب عن يوحنا
المعمدان : « واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم » •
(مت ٦ : ٣)

في طريق خلاصك اذن ، ليتك تستفيد من قول السيد
المسيح لتلاميذه : « ••• اقبلوا الروح القدس • من غفرتم
خطاياهم تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياهم أمسكتم » •
(يو ٢٠ : ٢٢ ، ٢٣)

الأعمال الصالحة

تكلمنا الآن عن الخلاص بدم المسيح ، وكيف أن استحقاق
دم المسيح يلزم له الايمان والمعمودية ، وسر المسحة المقدسة ،
وسر التوبة ، وسر الافخارستيا • وبقي أن نتحدث عن الأعمال
ومركزها في قضية الخلاص • وقد أفردنا لهذا الموضوع فصلا
خاصا لأهميته •



الفصل الثاني

أهمية الأعمال

لرني موضوع الخلاص

مقدمة :

أعمال الانسان اما صالحة واما شريرة • فالأعمال الشريرة تهلك الانسان وتفقده خلاصه • أما الأعمال الصالحة فهي لازمة للخلاص • عدم وجودها يدل على أن الايمان ميت ، وعلى أنه لا ثمرة له • ولكن الأعمال الصالحة وحدها لا تكفى للخلاص بدون ايمان وبدون معمودية وبدون استحقاقات دم المسيح •

هذه الأعمال الصالحة هي ثمر للايمان ، وبرهان على وجود الايمان ، وبها نكمل الايمان ، كما سنشرح ذلك بالتفصيل فيما بعد • وقد طلب الله هذه الأعمال الصالحة وأمر بها ، وحدد عقوبات على من يهملها •

وستكون الدينونة في اليوم الأخير بحسب الأعمال •
ان الأعمال الصالحة لا يتم الخلاص بسببها ، ولكنه لا يتم بدونها • فالخلاص لا يكون الا بدم المسيح وحده ، ولكن الأعمال تؤهل لاستحقاق هذا الدم •

على أنه يلزمنا أن نوجه الانتباه الى أمر هام جدا وهو أن
أعمال الانسان الصالحة تحتاج الى مؤازرة من النعمة •
فقد قال المسيح له المجد : « بدوني لا تقدرون أن تعملوا
شيئا » (يو ١٥ : ٥) • فأعمالنا الصالحة هي نتيجة لاشترك
ارادتنا مع عمل الروح القدس فينا •

ان نصوص الكتاب المقدس التي تقلل من قيمة الأعمال ، هذه
اما أن يكون المقصود منها هو أعمال الناموس كالختان
والممارسات الطقسية وحفظ الأيام والشهور والأعياد وما الى
ذلك ، واما أن يكون المقصود منها هو مهاجمة الأعمال غير
المبنية على دم المسيح وفدائه ، كأعمال غير المؤمنين
والوثنيين •• الخ •• اما اعمال بدون ايمان ، أو أعمال
سابقة على الايمان •

وسنحاول أن نتناول هذه النقاط جميعا واحدة فواحدة
حسبما تعطى نعمة الرب من معونة •



الأعمال الشريرة تؤدي إلى الهلاك

وهذا امر طبيعي • لأن الله كما انه كامل في رحمته ، كذلك هو ايضا كامل في عدله • وما دامت « أجره الخطيئة هي موت » (رو ٦: ٢٣) فلا بد أن ينال الخاطيء عقوبة خطيئته • حقيقى أن المسيح قد مات عنا ، ولكن لا يتمتع باستحقاق موت المسيح سوى التائبين • والا كان هذا الخلاص المجانى باباً مفتوحاً للاستهتار والفساد ، وتصريحا بارتكاب الخطيئة دون خوف من عقوبتها ، اعتمادا على دم المسيح وعلى كفارته التى وفيت كل شىء !!!

لذلك يقول بولس الرسول فى هذا المعنى : « فماذا نقول ٠٠؟ أنبقى فى الخطيئة لكى تكثر النعمة؟! حاشا • نحن الذين متنا عن الخطيئة ، كيف نعيش بعد فيها؟! اذن لا تملكن الخطيئة فى جسدكم المائتلكى تطيعوها فى شهواته » .
(رو ٦: ١-١٢)

ويتابع بولس الرسول حديثه فيقول : « فماذا اذن •

أنخطيء لأننا لسنا تحت الناموس بل تحت النعمة؟! حاشا •
الستم تعلمون أن الذى تقدمون ذواتكم له عبيدا للطاعة أنتم
عبيد للذى تطيعونه ، اما للخطيئة للموت أو للطاعة للبر •
(رو ١٥:٦ ، ١٦)

**وفي هاتين الآيتين بين لنا الرسول أننا لو أطينا الخطيئة
– ونحن تحت النعمة – فإنها تكون طاعة للموت • وما دامت
للموت ، فمعناها فقداننا للحياة الأبدية التى لنا فى المسيح
يسوع •**

ما أهم هذه الآيات ، وخاصة لأنها كلام الوحي على لسان
بولس الرسول الذى هو أكبر رسول يعتمد عليه البروتستانت
فى موضوع النعمة والتبرير بالايمان ، وأيضا لأنها آيات من
الرسالة الى رومية وهى الرسالة الأولى والأساسية التى
يعتمدون عليها فى هذا الموضوع • [انظر أيضا غلا ٢:١٧] •

نصوص من رسائل بولس الرسول :

ما أكثر نصوص الكتاب التى تدل على أن الأعمال الشريرة
تؤدى الى الهلاك :

● (غل ٥:١٩-٢١) :
« أعمال الجسد ظاهرة التى هى زنا ، عهارة ، نجاسة ،
دعارة ، عبادة الأوثان ، سحر ، عداوة ، خصام ، غيرة ،

سخط ، تحزب ، شقاق ، بدعة ، حسد ، قتل ، سكر ،
بطر ، وأمثال هذه التي أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت
فقلت ان الذين يفعلون هذه لا يرثون ملكوت الله » •
اذن فالإيمان مع مثل هذه الأعمال الشريرة - لا يفيد شيئاً
ولا يخلص وحده الانسان ...

● (أف ٦:٥) :

« فانكم تعلمون هذا ، ان كل زان أو نجس أو طماع الذى
هو عابد للأوثان ، ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله •
لا يفركم احد بكلام باطل ، لأنه بسبب هذه الأمور يأتى
غضب الله على أبناء العصية » •

● (١ كو ٦:٩ ، ١٠) :

« أم لستم تعلمون أن الظالمين لا يرثون ملكوت الله •
لا تضلوا • لا زناة ، ولا عبدة أوثان ، ولا فاسقون ،
ولا مابونون ، ولا مضاجعو ذكور ، ولا سارقون ، ولا طماعون ،
ولا سكيرون ، ولا شتامون ، ولا خاطفون ، يرثون ملكوت
الله » •

● (عب ٤:١٣) :

« وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله » ••
هذه آيات صريحة يقدم بها بولس الرسول ما يزيد عن
عشرين عملاً تغلق ملكوت الله أمام المؤمن اذا أخطأ •••

ويتحدث بولس الرسول - رسول النعمة والتبرير - بعنف شديد فى رسالته الى العبرانيين فيقول :

● (عب ١٠: ٢٦، ٢٧ ، ٢٩-٣١) :
« فانه ان اخطانا باختيارنا بعدما اخذنا معرفة الحق ، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف ، وغيرة نار عتيدة ان تاكل المضادين » .

« فكم عقابا أشر تظنون أنه يحسب مستحقا من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدس به دنسا ، وازدرى بروح النعمة . فاننا نعرف الذى قال لى الانتقام أنا أجازى يقول الرب ، وأيضا الرب يدين شعبه . مخيف هو الوقوع فى يدي الله الحى » .

● ونفس المعنى الموجود فى الآيتين الأوليين يقول فى شدة ما يشبهه فى موضوع آخر من الرسالة (عب ٦: ٤-٨) :

● (رو ١: ٨) :
« لأن غضب الله معلن من السماء على جميع فجور الناس واثمهم » .

● (كو ٣: ٥، ٦) :
« فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض : الزنا ، النجاسة ، الهوى ، الشهوة الرديئة ، الطمع الذى هو عبادة الأوثان . الأمور التى من أجلها يأتى غضب الله على أبناء المعصية » .

● (٢ تس ١: ٨، ٩) :

« ٠٠٠ معطيا نعمة للذين لا يعرفون الله ، والذين لا يطيعون
انجيل ربنا يسوع المسيح ، الذين سيعاقبون بهلاك أبدي من
وجه الرب » . نلاحظ هنا أنه جعل الهلاك الأبدي عقوبة
للأميرين معا : ترك الأيمان ، وترك الأعمال . فعبارة « الذين
لا يعرفون الله » خاصة بعدم الأيمان ، وعبارة « الذين لا يطيعون
الانجيل » خاصة بترك الأعمال .

● (رو ٢: ٨-١٠) :

« وأما الذين هم من أهل التحزب ولا يطاوعون للحق
بل يطاعون للآثم ، فسخط وغضب . شدة وضيق على كل
نفس انسان يفعل الشر ، اليهودى أولا ثم اليونانى . ومجد
وكرامة وسلام لكل من يفعل الصلاح ، اليهودى أولا
ثم اليونانى » . نلاحظ هنا أيضا ليس فقط عقوبة الأعمال
الشريرة ، بل أيضا مكافأة الأعمال الصالحة .

● تعليق :

أوردنا فيما سبق آيات عن عقوبة الخطيئة ، وكيف أن
المؤمن اذا أخطأ يهلك بخطيئته . وأن الأعمال الشريرة تجعل
الذى يخطئ لا يرث ملكوت الله ، ويقع عليه غضب الله ،
ويعتبر من أبناء العصية ، ويتعرض لدينونة مخيفة ، وغيره
نار تأكله ، ويعاقب بهلاك أبدي من وجه الرب ، وتقع على
نفسه شدة وضيق ، ويدينه الله .

وكل هذا ذكره بولس الرسول ، الذى تحدث باسهاب عن النعمة والتبرير بالايمان . وقد بدأنا وذكرنا هذه الآيات حتى على ضوءها نفهم الآيات الخاصة بالنعمة والايمان التى ذكرها بولس نفسه . حتى لا يبدو لأحد أن لبولس الرسول تعليما آخر ، وانما هو أيضا علم - فى كل رسالة تقريبا - بأن الخطايا تغلق ملكوت السموات . . . بل انه علم كذلك بأن الأعمال الشريرة تلغى عمل الايمان . فقال فى رسالته الى تيطس

● (تى ١ : ١٦) :

« يعترفون بأنهم يعرفون الله ، ولكنهم بالأعمال ينكرونه ، اذ هم رجسون غير طائعين ومن جهة كل عمل صالح مرفوضون » .

نصوص أخرى من غير رسائل بولس الرسول :

● (٢ بط ٢ : ٤-٢٢) :

« لأنه ان كان الله لم يشفق على ملائكة قد أخطأوا ، بل فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم وسلمهم محروسين للقضاء ، ولم يشفق على العالم القديم . . . يعلم الرب أن ينقذ الأتقياء من التجربة ، ويحفظ الأئمة الى يوم الدين معاقبين . ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد فى شهوة النجاسة . . . فسيهلكون فى فسادهم ، آخذين أجره الاثم . . . الذين قد حفظ لهم

قام الظلام الى الأبد . . . لأنه ان كانوا بعدما هربوا من رجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح ، يرتبون أيضا فيها فينغلبون ، فقد صارت لهم الأواخر أشرف من الأوائل . لأنه كان خيرا لهم لو لم يعرفوا طريق البر ، من أنهم بعدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم . قد أصابهم ما فى المثل الصادق : « كلب قد عاد الى قيئه ، وخنزيرة مغتسلة الى مراغة الحمأة » . واضح من النصوص الأخيرة أنه يتكلم عن مؤمنين يهلكون .

● (١ بط ٤ : ١٧ ، ١٨) :

« . . . فما هى نهاية الذين لا يطيعون انجيل الله ؟ . . . وان كان البار بالجهد يخلص ، فالفاجر والحاطىء أين يظهران » .

● (أع ٩ : ٥) :

« فقال لهما بطرس ما بالكما اتفقتما على تجربة روح الرب . هوذا أرجل الذين دفنوا زوجك على الباب وسيحملونك خارجا . فدخل الشباب ووجدوها ميتة ، فحملوها خارجا ودفنوها بجانب رجلها » .

ان هلاك حنانيا وسفيرا دليل على أن العمل الشرير يهلك ، وأن الايمان وحده لا يكفى . فقد كان الاثنان مؤمنين بالمسيح ، ولكن قلبهما لم يكن مستقيما فهلكا . ويقول الكتاب انه بعد موتهما : « صار خوف عظيم على الكنيسة ، وعلى جميع الذين سمعوا بذلك » .

● (رؤ ٢١ : ٨) :

« وأما الخائفون ، وغير المؤمنين ، والرجسون ، والقاتلون ،
والزناة ، والسحرة ، وعبيدة الأوثان ، وجميع الكذبة ،
فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت
الثانى » .

● (رؤ ١٨ : ٧) :

« بقدر ما مجدت نفسها وتعمت ، بقدر ذلك أعطوها عذابا
وحزنا » .

● (١ يو ٣ : ١٥) :

« كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس . وأنتم تعلمون أن
كل قاتل نفس ليست له حياة أبدية ثابتة فيه » .

● (يع ٣ : ٢١) :

« لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتى ، عالمين أننا نأخذ دينونة
أعظم ، لأننا فى أشياء كثيرة نعثر جميعنا » .

● (يع ٥ : ٩١) :

« هلم الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم
القادمة . . . لا يثن بعضكم على بعض أيها الاخوة لئلا تدانوا .
هوذا الديان واقف قدام الباب » .

● تعليق :

رأينا من النصوص السابقة أن خطايا كثيرة تسبب الهلاك ، وتلقى في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت ، وتجلب العذاب والحزن ، وتحرم من الحياة الأبدية ، وتلقى الى الشقاء ، وإلى الدينونة ، سواء منها الخطايا التي تبدو خطيرة ، أو الخطايا التي يستهين بها البعض مثل التعليم الكثير ، والغنى الزائد وبخس الأجراء ، وبغضة الأخ . . . الخ . . . وهذا الأمر هو تعليم السيد المسيح نفسه :

● (يو ٢٨: ٢٩) :

« فانه تأتي ساعة يسمع جميع الذين فى القبور صوته . فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » .

● (مت ١٣: ٤٠-٤٢) :

« فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار ، هكذا يكون فى انقضاء العالم . يرسل ابن الانسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته جميع المعثر وفاعلى الاثم ، ويطرحونهم فى آتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » .

● (مت ٧: ١٩ ، ٢٠) :

« كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار . فاذن من ارضهم تعرفونهم » .

نلاحظ في كل النصوص السابقة انه لم يتكلم عن طرح غير
المؤمنين في النار أو الدبونة وإنما « الذين عملوا السيئات »
و « جميع المعثر وفاعل الاثم » و « من لا يصنع ثمرا جيدا » •
والنصوص المقبلة تظهر بوضوح أن الايمان وحده لا فائدة
منه للخلاص اذا لم يصحب بأعمال صالحة :

● (مت ٢١:٧-٢٣) :

« ليس كل من يقول لي يا رب يا رب يدخل ملكوت
السموات ، بل الذي يفعل ارادة ابي الذي في السموات •
كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يا رب يا رب ، أليس
باسمك تنبتانا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا
قوات ؟ • • فحينئذ أصرح لهم اني لم أعرفكم قط • اذهبوا
عني يا فاعلي الاثم » •

نلاحظ في هذه الآيات أن هؤلاء الهالكين لم يكونوا مؤمنين
فحسب ، وإنما أيضا أصحاب مواهب ومعجزات •

● (مت ٢٥:٢٥-٤٦) :

« ثم يقول أيضا للذين عن اليسار : اذهبوا عني يا ملاعين
الى النار الأبدية المعدة لابليس وملائكته • لأنى جعت فلم
تطعموني ، عطشت فلم تسقوني ، كنت غريبا فلم تأوونى ،
عريانا فلم تكسونى ، مريضا ومحبوسا فلم تزوروني • حينئذ

يجيبونه هم أيضا قائلين يا رب متى ... فيمضى هؤلاء الى
عذاب أبدي ، والأبرار الى حياة أبدية » .

نلاحظ هنا أن هؤلاء ، انهماكين ، لم يكونوا قتلة أو فسقة
أو عبدة أوثان . وانما مجرد عدم اطعام الجائع ، ومجرد عدم
زيارة المريض ، كان سببا في هلاكهم ...

● (لو ١٣ : ٥) :

« ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك نهلكون » .

● (مت ٥ : ٢٩ ، ٣٠) :

« فان كانت عينك اليمنى تعثر ، فاقطعها والحقها عنك .
لانه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقي جسدك كله في
جهنم ، وان كانت يدك اليمنى تعثر ... »

نلاحظ هنا أن سبب الالقاء في جهنم لم يكن عدم الايمان ،
وانما كانت خطية واحدة من خطايا الجسد ، مثل شهوة العين
التي تقود الى الزنا ، أو السرقة مثلا .

● (لو ١٣ : ٢٤-٢٨) :

« اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق : فاني أقول لكم
ان كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرن ، من بعد
ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب . وابتدأتم تقفون
خارجا وتقرعون الباب قائلين يا رب يا رب افتح لنا . فيجيب

ويقول لكم لا أعرفكم من أين أنتم ، تباعدوا عنى يا جميع
فاعلى الاثم • هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ••••

(هنا يكلم مؤمنين يقولون له يا رب يا رب •••• ولكنهم
هلكوا لأنهم كانوا فاعلى اثم) •

● (مت ١٩: ٢٤) :

« مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى الى
ملكوت الله » •

[أى هناك من سيفقدون الملكوت ، لا بسبب عدم ايمانهم
بل بسبب مخاطر الغنى] •

● (مت ١٢: ٣٦) :

« ولكن أقول لكم ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف
يعطون عنها حسابا يوم الدين ، لأنك بكلامك تبرر وبكلامك
تدان » •

[ان ايمان الانسان لا ينفى وقوعه فى الدينونة بسبب
كلامه] •

وهنا نتذكر قول معلمنا القديس باسيليوس الكبير : ماذا
يفيدنى لو عملت كل البر ، ثم أقول لأخى يا أحق فأكون
مستحقا نار جهنم . لأن ربنا يسوع المسيح يقول : « ومن قال
لأخيه يا أحق يكون مستحقا نار جهنم » (متى ٥ : ٢٢)

الدينونة ... حسب الأعمال

• هذه حقيقة واضحة تبين أهمية أعمال الانسان في العهد القديم يقول داود في المزمور « لك يا رب الرحمة لأنك تجازى الانسان كعمله » (مز ٦٢ : ١٢) ، ويقول سفر الجاسعة « لأن الله يحضر كل عمل الى الدينونة ، على كل خفي ان كان خيراً أو شراً » (جا ١٢ : ١٤) .

وفي العهد الجديد تأكدت هذه الحقيقة من فم السيد المسيح وأفواه رسله القديسين ، وفي هذا يقول السيد الرب « فان ابن الانسان سوف يأتي في مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله » (مت ١٦ : ٢٧) . كما قال أيضا « فانه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته . فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة ، والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة » (يو ٥ : ٢٨ ، ٢٩) لاحظوا أنه يتكلم في هذه الآية عن الأعمال « الذين فعلوا الصالحات . . . والذين عملوا السيئات » .

• وليست الدينونة على الأعمال فقط ، بل حتى على الكلام .
ولذلك يقول « بكلامك تبرر وبكلامك تدان » (متى ١٢ : ٣٦)

وهذا الأمر واضح في سفر الرؤيا . اذ أن الرب أرسل كل ملاك من ملائكة الكنائس السبع يقول له « أنا عارف

أعمالك « (رؤ ٢ ، ٣) . كما قال الرب صراحة « وها أنا آتى
سريعاً وأجرتى معي ، لأجازي كل واحد كما يكون عمله »
(رؤ ٢٢ : ١٢) .

وقد قيل في هذا السفر « طوبى للأمم الذين يموتون
في الرب منذ الآن . نعم يقول الروح ! لكي يستريحوا من
أتعابهم ، وأعمالهم تتبعهم » (رؤ ١٤ : ١٣) . وقيل أيضاً
« ودين الأموات مما هو مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم »
(رؤ ٢٠ : ١٢) .

وصورة الدينونة التي شرحها لنا الرب يسوع من حيث
كلامه الذي يقوله للذين عن اليمين ، وكلامه للذين على اليسار ،
هي صورة دينونة حسب الأعمال . إذا أنه قال للذين عن اليمين
« جعت فاطعمتوني ، عطشت فسقيتوني ، كنت غريباً
فأويتمتوني . . . » . وبناءً على هذه الأعمال الصالحة قال لهم
تعالوا يا مباركي أبي ، رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم «
(مت ٢٥ : ٣١ - ٤٦) . وبالمثل فعل مع الأشرار ، دانهم
حسب أعمالهم .

اذن يكفي أن يقصر الانسان في اطعام الجياع او زيارة
المرضى ، واذ يتخلو قلبه من هذه الرحمة يفقد الملكوت ، مهما
كان له من ايمان ، ومهما كان له من ثقة جوفاء في داخله
لا تغنيه شيئاً !! ما أخطر العبارة التي قالها معلمنا يعقوب
الرسول « ما المنفعة يا أخوتي ان قال أحد ان له ايماناً ولكن

ليس له أعمال • هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟ !
(يع ٢ : ١٤) •

وكون الدينونة حسب الأعمال ، حقيقة تكلم عنها بولس الرسول كثيراً • فقال « لأنه لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح ، لينال كل واحد ما كان بالجسد يحسب ما صنع خيراً كان أم شراً » (٢ كو ٥ : ١٠) • وقال أيضاً • « ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذى ، سيجازى كل واحد حسب أعماله » (رو ٢ : ٥ - ٧) •

وتلخيصاً للدينونة حسب الأعمال ، قال بولس الرسول كذلك « فان الذى يزرعه الانسان ، اياه يحصد أيضاً • لأن من يزرع جسده ، فمن الجسد يحصد فساداً • ومن يزرع للروح ، فمن الروح يحصد حياة أبدية » (غل ٦ : ٧ ، ٨) • كما قال « فعمل كل واحد سيصير ظاهراً ، لأن اليوم سيبينه وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو (اكو ٣ : ١٣) • وقال أيضاً « كل واحد سيأخذ اجرته بحسب تعبته » ، ولم يقل « بحسب ايمانه » أو « بحسب النعمة » •••

وعن الدينونة حسب الأعمال قال بطرس الرسول عن الأب « الذى يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد ، فسيروا زمان غربتكم بخوف » (ابط ١ : ١٧) •

فان كانت الأعمال على هذه الدرجة من الخطورة - خيراً

كانت أم شراً - بحيث يدان الانسان بموجبها ، فهل يجرؤ أحد أن يقلل من قيمة الأعمال وأهميتها؟! .

ان كان الله لا ينسى « كأس الماء البارد » فلا يضيع أجره ، ولا ينسى أبداً تعب المحبة ، « اذن يا اخوتي الاحباء كونوا راسخين غير متزعزعين ، مكثرين فى عمل الرب كل حين ، عالمين أن تعبكم ليس باطلا فى الرب » (١ كو ١٥ : ٥٨) .
ان الأعمال هامة جداً فى طريق خلاصنا ، وهامة فى تحديد مصيرنا الابدى ، فلنتأمل اذن كم هى لازمة . . .

الأعمال ثمار لازمة للإيمان

الأعمال ثمار للإيمان . الايمان الحى لابد أن يشمر ، وهو يشمر أعمالاً صالحة . هذه الأعمال دليل على وجود الايمان وحيويته . وهى أيضاً ثمار لعمل الروح القدس فىنا ، وثمار لازمة لحياة التوبة التى نحيهاها .

فهل يطلب الله هذه الأعمال ؟ أو يطلب هذه الثمار ؟
نعم يطلبها ، ويشدد فى ذلك . . .

وقف يوحنا المعمدان ينادى قائلاً « اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ، ولا تبدئوا تقولون فى أنفسكم لنا ابراهيم أباً . . . » (لو ٣ : ٨) . ان اختيار الله لكم ، ليس معناه أن تخلصوا بدون أعمال . لابد أن تصنعوا ثماراً تليق بالتوبة . وان لم

نصنع ؟ ان لم تصنعوا ثمرا فنهايتكم تكون الهلاك . وما
الدليل ؟

يستطرد يوحنا المعمدان - أعظم من ولدت النساء -
فيقول « والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجرة . فكل
شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار » (لو ٣ : ٩)
أى أن الذى لا يعمل أعمالا صالحة يهلك . تحتج قائلاً أن لى
ابراهيم أبا ، أنا مولود من الله ، أنا تبررت وتقدسست
وتجددت . أقول لك « اصنع ثمارا تليق بالتوبة » .

هذا الكلام لم يقله يوحنا المعمدان فقط ، لكننا فى العهد
الجديد أيضا نجد بولس الرسول يقول « أخبرت أولا الذين
فى دمشق وفى أورشليم حتى جميع كورة اليهود ، ثم الأمم ،
أن يتوبوا ويرجعوا الى الله ، عاملين أعمالا تليق بالتوبة »
(أع ٢٦ : ٢٠) .

وفى رسالته الى تيطس يقول « صادقة هى الكلمة ، وأريد
أن تقرر هذه الأمور لكى يهتم الذين آمنوا بالله ان يمارسوا
أعمالا حسنة » . لماذا أيها القديس العظيم ؟ يكمل معلمنا
بولس كلامه فيقول « . . . وليتعلم من لنا أيضا أن يمارسوا
أعمالا حسنة . . . حتى لا يكونوا بلا ثمر » (تى ٣ : ٨ ، ١٤) .

الأعمال اذن هى ثمر للايمان . ان كان لك ايمان ، ولا
يعطى ثمراً ، فهو اذن ايمان ميت . لأنه لو كان حياً لأعطى
ثمراً .

وهذه المسألة يشرحها باستفاضة معلمنا يعقوب الرسول
فيقول « ما المنفعة يا أخوتي ان قال أحد ان له ايماناً ولكن
ليس له أعمال . هل يقدر الايمان أن يخلصه؟! » (يوحنا ٢ : ١٤)
أنت مؤمن بالمسيح ، وتقول ان دم المسيح قد طهرني وقد
جددني وقد بررني . حسن هذا جداً ، ولكن ان لم تكن لك
أعمال ، فهل يقدر هذا الايمان أن يخلصك؟! ان يعقوب
الرسول يثبت في صراحة تامة عجز الايمان عن تخليص انسان
ليست له أعمال .

فهل يعقوب الرسول هو الوحيد الذي هاجم مثل هذا
الايمان الميت؟ كلا ، بل ان بولس الرسول قال أيضاً « ان
كان لى كل الايمان حتى أنقل الجبال ، ولكن ليس لى محبة
فلست شيئاً » (اكو ١٣ : ٢) .

ان كنت حقاً ابناً لله ، وهيكلاً لله ، والروح القدس
يحيى فيك ، فينبغى أن تكون لك أعمال هي ثمار الروح فيك .
ومعلمنا بولس الرسول يشرح هذه الثمار فيقول : « وأما
ثمر الروح فهو محبة ، فرح ، سلام ، طول أناة ، لطف ،
صلاح ايمان ، وداعة ، تعفف (غل ٥ : ٢٢) . فهل توجد
فيك هذه الثمار؟ ان كانت لا توجد ، فما الدليل على أن
الروح القدس يعمل فيك؟! »

ان الشجرة التى لا تثمر ، هى شجرة مائة . وقد قال
السيد المسيح له المجد « كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً ، تقطع

وتلقى في النار • فاذن من ثمارهم تعرفونهم • ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل ارادة أبى الذى فى السموات « (مت ٧ : ١٩ - ٢١) • وهنا نرى أن السيد الرب قد ربط بين الخلاص والثمر الجيد الذى يدل عليه عمل ارادة الأب •

ولأهمية هذه الثمار قال الرب فى توبيخه لليهود « لذلك أقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (مت ٢١ : ٤٣) •

وقد شرح لنا الرب كيف أنه أزمع أن يقطع الثينة التى لم تصنع ثمراً ، فتوسل اليه الكرام قائلاً « يا سيد أتركها هذه السنة أيضاً حتى أنقب حولها وأضع زبلاً • **فان صنعت ثمراً والا ففيما بعد تقطعها** » (لو ١٣ : ٦ - ٩) • فان كنت تخشى أيها الأخ على نفسك من هذا القطع ، فاسرع الآن واعمل أعمالاً تليق بأبناء الله • لا تستهن بقيمة الأعمال ، فقد وضعت الفأس على أصل الشجرة •

ان الأعمال ليست فقط ثمراً للإيمان ، وانما أكثر من هذا :

الأعمال برهان على وجود الإيمان :

يقول مار يعقوب الرسول « أرنى ايمانك بدون أعمالك • وأنا أريك بأعمالى ايمانى » (يع ٢ : ١٨) • أى أن الأعمال

تدل على وجود الايمان . وهذا واضح من قول الكتاب « من ثمارهم تعرفونهم ٠٠٠ كل شجرة جيدة تصنع اثماراً جيدة . وأما الشجرة الرديئة فتصنع اثماراً ردية » (متى ٧ : ١٦ ، ١٧) .

الأعمال برهان على الولادة من الله :

ذلك لأن الكتاب يقول « ان علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه » (ايو ٢ : ٢٩) . ويقول أيضا « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية » (ايو ٣ : ٩) . واعتبر أن هذا هو المميز لأولاد الله ، فقال بعدها « بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد ابليس (ظاهرون) » (ايو ٣ : ١٠) .

وهذا يشبه ما قاله الرب لليهود المفتخرين باطلا ببنوتهم لابراهيم : « لو كنتم اولاد ابراهيم لكنتم تعملون اعمال ابراهيم » (يو ٨ : ٣٩) . فاتخذ الأعمال دليلاً على البنوة . وقد دافع بولس الرسول أيضاً عن هذه النقطة فقال « لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، فاولئك هم أولاد الله » (رو ٨ : ١٤) .

ان كان اولاد الله هم هؤلاء الابرار . فماذا نسمى الخطاة ؟ سماهم الكتاب « أولاد الأفاعى » (متى ٣ : ٧) . وسماهم « أولاد ابليس » (يو ٨ : ٤٤) ، (ايو ٣ : ١٠) . وسماهم أيضاً « أبناء الغضب » و « أبناء المعصية » (اف ٢ : ٣ ، ٢) .

ان أذاك أحد اذن ، وقال لك اننى ابن لله ، لأنى تجددت
وتبررت وتقدسست • فقل له « من ثمارهم تعرفونهم » •
الاعمال اذن ثمر للايمان ، وبرهان على وجود الايمان ،
وبرهان على البنوة لله • وماذا أيضاً ؟ نقول كذلك •
بالأعمال يكمل الايمان :

فهكذا قال الرسول « وبالأعمال أكمل الايمان »
(يع ٢ : ٢٢) •
لقد بلغ الأمر بيعقوب الرسول أنه - عندما تكلم عن
الديانة - قال « الديانة الطاهرة النقية عند الله الأب هى هذه :
افتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقتهم ، وحفظ الانسان نفسه
بلا دنس من العام » (يع ١ : ٢٧) • وكل هذه أعمال ولا
شك • ولكننا لا نستغل هذه الآيات - كما يفعل البعض -
وذلك لايماننا ببدأ « خطورة استخدام الآيات الواحدة » •
مادامت الأعمال اذن بهذه الأهمية • فلنتذكر على الدوام
قول مار يعقوب « فمن يعرف أن يعمل حسناً ، ولا يعمل ،
فذلك خطية له » (يع ٤ : ١٦) •

أهمية السلوك والأعمال الصالحة

يقول البعض « ما علاقة الخلاص بسلوك الانسان ؟ ان
المسألة مسألة ايمان ، وليست مسألة سلوك او أعمال
صالحة » !! لذلك سنبين هنا أهمية السلوك وحفظ الوصايا •

● يقول يوحنا الرسول « ان قلنا ان لنا شركة معه ،
وسلكنا فى الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق . ولكن ان
سلكنا فى النور كما هو فى النور ، فلنا شركة بعضنا مع
بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية »
(ايو ١ : ٦ ، ٧) .

اذن سلوكنا فى النور له نتيجتان ، هما الشركة والتطهير .

سلوكنا فى النور ، يجعل لنا شركة مع الرب ومع بعضنا
البعض . بعكس سلوكنا فى الظلمة ، فانه يعطل شركتنا مع
الله .

وسلوكنا فى النور يجعلنا مستحقين ان نتطهر بدم
المسيح . لانه يقول « ان سلكنا فى النور ... دم يسوع
المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية » . « ان سلكنا فى النور ،
هنا شرط . اذن فاستحقاقات الفداء ، والتطهير بدم المسيح ،
يستلزم منا أن نسلك فى النور . ما أهم هذا السلوك اذن
وما أخطره ...

● هذا السلوك الحسن ينجينا من الدينونة فى اليوم
الآخر . يقول الكتاب « اذن لا شيء من الدينونة الآن على الذين
هم فى المسيح يسوع ، السالكين ليس حسب الجسد ، بل
حسب الروح » (رو ٨ : ١) . انك بالمسيح يسوع تنجو من
الدينونة ، ولكن بشرط ... بشرط أن يكون سلوكك
روحياً .

ونلاحظ هنا أن عبارة القديس بولس الرسول تشمل
الناحيتين السلبيه والايجابيه • فمن جهة ينبغي أن يبعد المؤمن
عن الشر ، فلا يسلك حسب الجسد • ومن الجهة الاخرى ينبغي
أن يثمر فى الفضيله ، فيكون سالكا حسب الروح •

● لذلك ما أكثر وصايا آباءنا الرسل عن أهمية السلوك :

يقول القديس بولس فى رسالته الى أهل غلاطية « ان
كنا نعيش بالروح ، فلنسلك أيضا بحسب الروح »
(غل ٥ : ٢٥) • ويشدد على هذه النقطة قائلا « اسلكوا
بالروح ، ولا تكملوا شهوة الجسد » (غل ٥ : ١٦) • ويأمر
أن نسلك « فى جده الحياة » (رو ٦ : ٤) •

ويرسل الى أهل افسس قائلا « اسألكم أنا الأسير فى
الرب أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التى دعيتم اليها »
(اف ٤ : ١) • ويقول لهم أيضا « انظروا كيف تسلكون
بالتدقيق ، لا كجهلاء بل كحكماء » (اف ٥ : ١٥) •
[انظر أيضا اتس ٢ : ١٢ ، ٤ : ١ ، كو ١ : ١٠ ،
رو ١٣ : ١٣] •

● ومن ثم كان آباؤنا الرسل يمنعون الخلطة بالذين
يسلكون بلا ترتيب • لذلك يقول مار بولس فى رسالته
الثانية الى تسالونيكى « ثم نوصيكم أيها الأخوة باسم ربنا
يسوع المسيح ، أن تتجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب وليس
حسب التقليد الذى أخذه منا » (٢ تس ٣ : ٦ ، ١١) •

● ويرى آباؤنا الرسل أن السلوك الحسن هو علامة
المحبة ، والدليل على الثبات فى المسيح •

فيقول القديس يوحنا الرسول « وهذه هى المحبة أن نسلك
بحسب وصاياها » (٢ يو ٦) • ويقول أيضا « من قال انه
ثابت فيه ، ينبغى أنه كما سلك ذاك يسلك هو أيضاً »
(ايو ٢ : ٦) •

● وحفظ الوصايا هو دليل محبة المسيح والعلاقة به :

قال القديس يوحنا الرسول « فان هذه هى محبة الله ،
أن نحفظ وصاياها ، ووصاياها ليست ثقيلة » (ايو ٥ : ٣) •
ولعل هذا هو ما قاله الرب نفسه « الذى عنده وصاياى
ويحفظها ، فهو الذى يحببنى (يو ١٤ : ٢١) •

أما كونها دليل العلاقة به ، فقد قال الرب أيضاً « من
يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات ، هو اخى واختى
وأمى » (متى ١٢ : ٥٠) •

ان كان سلوك الانسان على هذه الدرجة من الأهمية :
تتوقف عليه شركتنا مع الله ومع الكنيسة ، ويتوقف عليه
تطهيرنا من خطايانا بدم المسيح ، وبه تكون دينوتنا • وهو
دليل على محبتنا لله ، وثباتنا فيه ، وعلاقتنا به ؛ فهل يصح
أن يتجاهله احد ، قائلان ان حياتنا ليست مسألة سلوك وانما
إيمان !! ••

الفصل الثالث

الجهاد والنعمة

ان كانت الأعمال لازمة للخلاص فهل يخلص الانسان بأعماله أم بنعمة الروح القدس العاملة معه ؟ لقد تطرف كثيرون فى التحمس لأحد الجانبين ، فأخطأوا • وسنحاول فى هذا المجال أن نجيب عن هذا السؤال الهام وهو كيف يخلص الانسان ؟ بالجهاد أم بالنعمة ، أم بكليهما معا ؟

الجهاد والنعمة معاً :

لا يمكن للانسان أن يخلص بجهاده وحده • فقد قال السيد المسيح لك المجد « **بدونى لا تقدرين أن تفعلوا شيئاً** » (يو ١٥ : ١٥) • اذن فذراعك البشرى وحده - بدون معونة من الله - لا يمكن أن يخلصك ، مهما جاهدت ومهما تعبت •

وأيضاً النعمة وحدها لا تشاء أن تخلصك بدون استجابة ارادتك لها • وما أجمل قول القديس يوحنا ذهبى الفم « أن الله لا يريدنا أن نكون مستقلين على ظهورنا ويعطينا الملكوت ، لذلك

فالنعمة لا تعمل كل شيء وحدها » • فهي ليست مجالاً للكسل
والتهاون والتراخي •

فلا تجلس كسلانا ، دون جهاد في حياتك ، قائلاً في غير
فهم : انى تارك نفسى للنعمة تعمل بى ما تشاء !! ان عمل
النعمة فيك يا أخى ليس معناه ان تنام وتتهاون فى أ-
واجباتك •

مثال يشوع وموسى :

كان يشوع بن نون يقود الجيش ويحارب عماليق ، وفى
نفس الوقت كان موسى النبى يقف على رأس التلة رافعاً يديه
بالصلاة •• (خر ١٧ : ١١) •

فهل انتصر الشعب عن طريق جيش يشوع المحارب ،
أم عن طريق صلاة موسى ؟ يخطىء من يركز على واحد من الأمرين
ويهمل الآخر • لأن يشوع وحده مهما حارب بدون صلاة موسى
- أى بدون معونة من الله - ما كان ممكناً أن ينتصر • وصلاة
موسى وحدها لم يكن معناها مطلقاً تشجيع الجيش على أن
يتراخى أمام العدو معتمداً على صلاة موسى ! الجهاد والصلاة
معاً كانا سائرين جنباً الى جنب • هذا يجاهد فى الحرب ،
والآخر يرفع يديه بالصلاة • الاثنان متلازمان •

شركة الروح القدس :

هناك عبارة جميلة ، ان فهمناها فهمننا الكثير عن النعمة والجهاد . تقول البركة الرسولية « نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله وشركة الروح القدس مع جميعكم » (٢ كو ١٣ : ١٤)
فما معنى عبارة شركة الروح القدس ؟ .

انها شركة بين اثنين يعملان سويا : الروح القدس والانسان . فالروح القدس يقدر أن ينقذك وينجيك ، ولكنه لا يشاء أن يفعل هذا بمفرده ، وانما يريدك أن تشترك معه في تدبير حياتك وهذه هي شركة الروح القدس .

لعلك تحتج وتقول : كيف هذا! ألا يستطيع الروح القدس وحده أن يخلصني ؟ نعم انه يستطيع ، ولكنه لا يشاء ، لأنه ليست في سياسة الله أن يرغمك على عمل الخير ، لأن العمل الذي لا ارادة لك فيه ، لا يجوز مطلقا أن تكافأ عليه .

وان كان الروح القدس هو وحده الذي يعمل ، فلماذا اذن وجد أبرار وأشرار ؟ لو أن الأمر يتلخص في عمل الروح القدس وحده ، ما وجد خاطيء واحد على الأرض . ان الروح القدس يستطيع أن يجعل الخاطيء يتوب ، ولكنه لا يشاء أن يفعل هذا ما لم تتحد ارادة هذا الخاطيء معه . . . انها شركة .

ان مجرد وجود انسان خاطيء واحد فى العالم ، لا يتوب ،
لهو دليل أكيد على أن النعمة وحدها لا تعمل كل شيء .

هل عمل النعمة معناه الغاء الحرية الشخصية :

كلا فحريتك قائمة ، وارادتك قائمة . تستطيع أن
تستجيب لعمل الروح القدس فيك، وأن تشترك معه وتنقاد له .
ويمكنك أيضا أن توقف عمل الروح القدس فيك اذا أردت .
ولذلك يحذرنا الكتاب المقدس قائلا : « لا تطفئوا الروح »
(١ تى ٥ : ١٩) ، ويقول أيضا « لا تحزنوا روح الله القدوس »
(اف ٤ : ٣٠) .

النعمة واقفة على الباب تقرع . . . « هاأنذا واقف على
الباب وأقرع ، ان سمع أحد صوتى وفتح الباب ، أدخل
اليه وأتشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠) . وان لم يفتح ،
فهو حر ، يحدد مصيره كما يشاء .

النعمة تعرض معونتها عليك . وأنت حر تقبل أو لاتقبل .
تعمل أو لا تعمل . . .

إذا اشتركت مع الروح القدس فى العمل ، من أجل
نفسك ، تصل بنعمة الروح القدس الى كمال القداسة ، حسب
درجة استجابتك وانقيادك . وإذا رفضت الاشتراك ، فالنعمة
لا تشاء مطلقا أن ترغمك على الخير .

يتطرف كثير من الناس ، لدرجة أن كلمة الجهاد الشخصي تبدو كما لو كانت هرطقة ! كما لو كانت عملا ضد الايمان وضد معونة الله ! وهذا كله خطأ .

فالنعمة عبارة عن سلاح مقدم اليك ، تستطيع أن تحارب به وتنتصر ان أردت ، وتستطيع أن تهمله ، وتقابل عدو الخير وأنت أعزل فتنهزم . وأنت في كلا الأمرين حر تنفذ مشيئتك ، ومن الخير لك أن تستخدم السلاح المقدم اليك من أجل خلاص نفسك .

وكمثال لهذا الأمر نقول : لو أن جنودا أخذوا من قيادتهم أثناء الحرب دبابات ومدافع وقنابل وأسلحة ، وقاتلوا وانتصروا : فهل النصر راجع الى بسالتهم أم الى الأسلحة ؟ ان بسالتهم وحدها - بدون أسلحة - ما كانت تكفى مطلقا للانتصار ، فالجرب تحتاج الى سلاح . والأسلحة وحدها ، بدون جنود مهرة يستخدمونها ، لا يمكن بمفردها أن تعمل شيئا . كذلك الأمر في الحروب الروحية هي اشتراك بين ارادة الانسان وأسلحة الروح .

ضرورة الجهاد :

كثيرة هي النصوص المقدسة التي تشرح ضرورة الجهاد . نذكر من بينها قول الرسول « لذلك نحن أيضا اذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا ، لنطرح كل ثقل والخطيئة

المحيطة بنا بسهولة ، ولنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع
أمامنا » (عب ١٢ : ١) . يقول الرسول هذا ثم يوبخ العبرانيين
قائلا « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطيئة »
(عب ١٢ : ٤) .

فالمفروض اذن أن نجاهد ، وليس جهادا عاديا ، انما جهاد
حتى الدم ضد الخطيئة . وان سأل أحد : الى متى هذا الجهاد؟
نقول انه جهاد العمر كله . وكما يقول الكتاب « الذي يصبر
الى المنتهى فهذا يخلص » (مت ١٠ : ٢٢) . ورسول الجهاد
نفسه شرح لنا كيف عاش بالنعمة فقال « جاهدت الجهاد
الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الايمان . وأخيرا قد وضع
لى اكليل البر الذي يجزينى به فى ذلك اليوم الرب الديان
العادل » (٢ تى ٤ : ٧ ، ٨) .

انه جهاد ، ولكنه ليس جهادا شخصا منفصلا عن عمل
الله فيه . بل انه يجمع الاثنين معا اذ يقول عن كرازته « الأمر
الذى لأجله أتعب أيضا مجاهدا ، بحسب عمله الذى يعمل فى
بقوة » (كو ١ : ٢٩) .

ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى :

أما الذين يتطرفون فى الحديث عن النعمة بحيث يحتقرون
عمل الجهاد ، فانهم يعترضون بالآية التى تقول « ليس لمن
يشاء ولا لمن يسعى ، بل لله الذى يرحم » (رو ٩ : ١٦) .

فما معنى هذا ؟ هل معناه ان رحمة الله تعطينا الخلاص المجاني ، وتنقلنا الى الملكوت ، بدون سعي وبدون مشيئة صالحة؟! هل معنى هذا أن ينام كل انسان ويكسل ، ولا يسعى نحو الخير ، ولا يريده ، مكتفيا بأن يرحمه الله وهو في هذا التراخي؟!

مستحيل أن يقصد الرسول هذا • مستحيل أن يقصد هذا المعنى من قوله ولا لمن يسعى ، بينما يقول « قد جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعي ٠٠٠ » •
ان الذي قال (ليس لمن يسعى) ، قد أكمل السعي •
ونال اكليل البر نتيجة لهذا السعي ، ونتيجة جهاده الحسن •

ان الذي قال (ليس لمن يسعى) ، هو الذي قال عن نفسه « ليس أني قد نلت أو صرت كاملا ، ولكني أسعى لعل أدرك الذي لأجله أدركني أيضا المسيح يسوع ٠٠٠ أيها الاخوة أنا لست أحسب نفسي قد أدركت ، ولكني أفعل شيئا واحدا ، اذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد الى ما هو قدام • أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا » (في ٣ : ١٢ - ١٤) •

ان بولس نفسه يسعى لكي يدرك • فهل هذا هو مجرد اختبار خاص قد مر بك يا بولس ؟ أبدا ٠٠٠ انه للكل • لذلك يتابع الرسول كلامه فيقول « فليفتكر هذا جميع الكاملين منا » (في ٣ : ١٥) • ان كنت كاملا اذن عليك أن تسعى لكي تدرك •

وبولس الرسول نفسه يدعونا جميعا الى هذا السعى
وهذا الجهاد فيقول « أستم تعلمون أن الذين يركضون في
الميدان جميعهم يركضون ولكن واحدا يأخذ الجعالة ، هكذا
اركضوا لكي تنالوا » (١ كو ٩ : ٢٤) .

ما الذي تطلبه منا أيها الرسول العظيم ؟! كيف نركض .
والأمر ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ؟! ما الفائدة من أن نركض
وأن نجاهد ؟ كفانا أن نجلس كما نحن ، وتأتينا النعمة من
عند الله ، فتنقلنا من الموت الى الحياة ، وتدخلنا مجاننا الى
الملوكوت ، دون أن نشاء ودون أن نسعى .! ان بولس يكمل
كلامه فيقول « وكل من يجاهد يضبط نفسه في كل شيء . . .
اذن أنا أركض هكذا . . . بل أقمع جسدي واستعبده ، حتى
بعدهما كرزت للآخرين ، لا أصير أنا نفسي مرفوضا ،
(١ كو ٩ : ٢٥ - ٢٧) .

اذن فهذا الركض وهذا السعى ، ليس لنا فقط نحن
المؤمنين الضعفاء وانما هو للرسول أيضا . فبولس نفسه
يركض . بولس الذي كان ممثلا من الروح القدس ، الذي
كانت تعمل فيه النعمة أكثر من الجميع ، هو أيضا كان محتاجا
أن يركض ، وأن يسعى ، وأن يكمل السعى ، وأن يجاهد
الجهاد الحسن . . . ويدعونا معه أن نركض مثله لكي ننال . . .

بل ان بولس العظيم نراه يقمع جسده ويستعبده ، حتى

لا يصير هو نفسه مرفوضا ! فان كان بولس الرسول يجاعد
ويخاف أن يرفض فماذا نفعل نحن ؟

ما معنى اذن قوله « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله
الذى يرحم » ؟ معناه أن المنكوت لا تصل اليه بمجرد مشيئتك
فقط ، أو بمجرد سعيك فقط ، بدون عمل الله معك ، وبدون
معوونة من نعمته ، وبدون شركة الروح القدس •

فالجانب الأساسى فى الموضوع يرجع الى الله الذى يرحم •
فالذى يعتمد على مشيئته وحده ، وعلى سعيه وحده ، هو
مخطىء ، فأنا أسعى والله يرحم • وعندما يبارك الله سعى ،
أرجع الفضل الى الله وليس الى هذا السعى •

حقيقى ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى ، ولكن لله الذى
يرحم • ولكن من هو الذى يرحمه الله ؟ يقول أحد القديسين:
« ان الله يرحم الذين يشاءون والذين يسعون » •

تذكرنى هذه الآية بقول بولس الرسول أيضا « اذن
ليس الغارس شيئا ولا الساقى بل الله الذى ينمى »
(١ كو ٣ : ٧) •

حقيقى أن الفضل لله الذى ينمى • ولكن الله ينمى الغرس
الذى غرس وسقى • ليس معنى الآية أننا لا نغرس ولا نسقى •
قائلين فى أنفسنا ليس الغارس شيئا ولا الساقى ، ثم بعد
ذلك فى جهالة ننتظر أن الله ينمى !! بل انما نغرس ونسقى ،

• ونقول ليس الفارس شيئا ولا الساقى بل الله الذى ينمى •
تماما مثلما نشاء ونسعى ، ونقول ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى
بل لله الذى يرحم •

الحرب الروحية :

فلنتأمل شرح الرسول لهذه الحرب الروحية فى الاصحاح
السادس من رسالته الى أفسس اذ يقول :

« أخيرا يا اخوتى ، تقووا فى الرب وفى شدة قوته •
البسوا سلاح الله الكامل ، لكى تقدرُوا أن تثبتوا ضد مكاييد
ابليس • **فان مصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع الرؤساء
مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر ، مع أجناد
الشر الروحية فى السمويات • من أجل ذلك احملوا سلاح
الله الكامل ، لكى تقدرُوا أن تقاوموا فى اليوم الشرير • وبعد
أن تتمموا كل شيء ، أن تثبتوا • فاثبتوا ممنطقين أحقأكم
بالحق ، ولا بسين درع البر ، وحاذين أرجلكم باستعداد انجيل
السلام • حاملين فوق الكل ترس الايمان الذى به تقدرُونَ أن
تطفئوا جميع سهام الشرير الملتهبة • وخذوا خوذة الخلاص ،
وسيف الروح الذى هو كلمة الله • مصليين بكل صلاة وطلبية
كل وقت فى الروح ، وساهرين لهذا بعينه بكل مواظبة
وطلبية ••• » (أف ٦ : ١٠ - ١٨) •**

هنا مصارعة ، وهنا حرب روحية ، وجهاد • والسلاح هو سلاح الله الكامل • ولكن ليس معنى هذا أننا لا نجاهد • إنما يجب أن نجاهد ، وتعتمد على الله في جهادك • لا تكن مثل شخص قدمت إليه أسلحة الله الروحية ، ووقف صامتا لا يستخدمها ، ولا يحارب بها • الأسلحة موجودة ، ولكن عليه أن يحارب •

أسلحة الله لها قوتها ، ولكن ان لم تستخدمها فستنهم • ان الأشخاص الذين ذكرهم بولس الرسول باكيا في (في ٣) ، كان بإمكانهم أن يستخدموا كل تلك الأسلحة ، ولكنهم تركوها ، ومالت نفوسهم نحو الخطيئة واستسلموا لها ، فهلكوا في خطاياهم •

على أننا في تلك الأسلحة الروحية نلاحظ البر ، والحق ، وكلمة الله ، والصلاة والطلبية ، والسهرة • وكل هذه أعمال ومعلمنا بطرس الرسول يتكلم أيضا عن هذه الحرب الروحية فيقول « اصحوا واسهروا لأن ابليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتصقا من يبتلعه هو • فقاوموه راسخين في الايمان ••• » (١ بط ٥ : ٨ ، ٩) • ان ابليس عدونا مثل أسد زائر • فماذا نفعل اذن ؟

(قاوموه) ••• أي جاهدوا واصمدوا واستبسلا • ولكن ليس اعتمادا على ذراعكم البشرية ، بل (قاوموه راسخين

في الايمان) • هذه الآية تدل على الأمرين معا : الجهاد في مقاومة الشيطان ، والنعمة التي يعتمد عليها المجاهد بالايمان •

ومثل هذا الجهاد يدعو اليه بولس الرسول عندما يوبخ العبرانيين قائلا « لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطيئة » (عب ١٢ : ٤) • هنا جهاد وهنا مقاومة • ولكننا لا نقاوم بقوتنا الخاصة وانما بسلاح الله الكامل ، راسخين في الايمان •

وهكذا يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثيوس « جاهد جهاد الايمان الحسن » • فهنا جهاد وهنا ايمان ، والأمران يسيران معا • ويتحدث بولس الرسول عن جهاده فيقول « جاهرنا في الهنا أن نكلمكم بانجيل الله في جهاد كثير » (١ تس ٢ : ٢) • ويقول في رسالته الى كورنثوس (١ : ٢) « فاني أريد أن تعلموا أي جهاد لي لأجلكم » •

مثال داود وجليات :

كيف انتصر داود على جليات ؟ هل انتصر عليه بنعمة الله ومعونته ؟ نعم بلا شك • لقد كان داود معتمدا على الرب اعتمادا كاملا • ولذلك قال داود لجليات « أنت تأتي الى بسيف وبرمح وبترس ، وأنا أتى اليك باسم رب الجنود » • « هذا اليوم يحبسك الرب في يدي ، فأقتلك وأقطع رأسك ••• وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلص

الرب ، لأن الحرب للرب ، وهو يدفعكم ليدنا » (١ صم ١٧ :
٤٥ - ٤٧) .

عظمة داود في هذه الحرب أنه أدخل الله الى ميدان القتال .
قبل مجيء داود لم يكن هنا كلام عن الله . كان الكلام فقط عن
الرجل الصاعد ، الرجل الجبار ، الذي يعير الجيش دون أن
يهتم . وكان الكلام أيضا عن مكافأة الملك لمن يقتل هذا الرجل
(١ صم ١٧ : ٢٥) .

**أما داود فأدخل اسم الرب الى الميدان « آتيك باسم
الرب . . . يجسك الرب في يدي . . . الرب الذي أنقذني
من يد الأسد . . . لأن الحرب للرب . . . الخ » . ولكن هل
اكتفى داود بأن أدخل اسم الرب الى الميدان ، وقال : بالايمان
سأقتل جليات ، بدون عمل وبدون جهاد ، لأن الحرب للرب
وهو سيدفعه ليدنا ! . . . كلا ، بل ان داود « انتخب خمسة
حجارة ملساء من الوادي ، وجعلها في جرابه ، وتقدم نحو
الفلستيني ومقلاعه بيده » (١ صم ١٧ : ٤٠) . وكان لما
تقدم جليات للقاء داود « أن داود أسرع وركض نحو الصف
للقاءه ، ومد يده الى الكنف ، وأخذ منه حجرا ، ورماه بالمقلاع ،
وضرب الفلستيني في جبهته ، فارتز الحجر في جبهته وسقط
على وجهه الى الأرض . فتمكن داود منه بالمقلاع والحجر وضربه
وقتله . ولم يكتف بهذا ، وانما - اذ لم يكن له سيف -
ركض ووقف فوق جليات ، وأخذ سيفه واخترطه من غمده ،
وقتله وقطع به رأسه » (١ صم ١٧ : ٤٨ - ٥١) .**

حقيقتي ان الحرب للرب ، وأن الرب هو الذى حبس
جليات فى يد داود ، ولكن كان لابد لداود أن يعارب ، وأن
يتقدم الصف ويركض ، وينتخب حجارة معينة ، وأن يضع
الحجر فى المقلاع ، ويسدد بمهارة . وكان لا بد أيضا أن
يخترط السيف ، ويتمكن من الرجل ويقتله وكل هذه
اعمال . . .

ومع كل هذا فنحن نرجع الفضل فى هذا الانتصار الى
الله ، وليس الى داود . لأنه كان من الممكن أن الحصاة لا تأتي
فى موضع قاتل بالنسبة لجليات فلا يموت بها . ومع أن داود
حارب بكل مهارة ، وانتصر ، فاننا مع ذلك نردد قول بولس
الرسول « ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم » .
لا بد من الجهاد والعمل ، ومع الجهاد والعمل ننسب النصر لله .

الايان والعمل معاً :

هكذا أيضا فى الجهاد الروحي هى حرب بلا شك .
انت تعارب بكل ما عندك من قوة ، والقوة التى عندك هى من
الله . تعارب بكل ما تملك من سلاح ، وهذا السلاح هو
سلاح الله الكامل . لا تقل : انى أنام ، وأسبح فى الأحلام ،
وفى أحلامي أرى الله ينقذنى بالنعمة . . . ! ان الله لا ينقذ
الكسالى ، والنعمة ليست تشجيعا على التراخي والتهاون .

للميذ لا يذاكر ، ويذهب الى الكاهن يطلب صلته لكي
يُفجج ، مؤمنا بقوة الصلاة . . . ما الحكم على هذا المثال ؟
ان الايمان بدون أعمال ميت . على التلميذ ان يذاكر ، ويطلب
الصلاة أيضا . وهكذا يتحد الايمان والعمل معا .

يقول البعض ان الجهاد هو ذراع بشرى « وملعون من يتكل
على ذراع بشر » . والحقيقة ان الجهاد يصبح ذراعا بشريا ، لو
اعتمد الانسان على ذاته فقط ، أى لو اعتبر أنه بمجرد جهاده
يخلص نون عمل النعمة معه ! هنا يقف أمامه قول السيد
الرب « لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا » (يو ١٥ : ٥) .
ان الحرب بدون سلاح لا تصلح . والسلاح وحده بدون
حرب ، وبدون انسان يستعمله جيدا ، لا يمكن ان يجلب النصر .
الاثنان متلازمان . وقد قال بولس الرسول « ان كان أحد
يجاهد ، لا يكلل ان لم يجاهد قانونيا » (٢ تى ٢ : ٥) .
اذن لا بد أن تجاهد ، وتجاهد جهادا قانونيا ، وبهذا تخلص .

جهاد الرسل والرعاة :

هل الرسل لم يجاهدوا ولم يتعبوا من أجل الايمان ؟ ان
بولس الرسول نفسه يقول « أنا تعبت أكثر من جميعهم »
(١ كو ١٥ : ١٠) . كلهم تعبوا ، وبولس تعب أكثر ، تعباً
سجله فى رسالته الثانية الى كورنثوس (٢ كو ١١ : ٢٣-٣٣) .
فاذا كانت المسألة مجرد نعمة ، لماذا اذن يتعب بولس ؟

وما لزوم الكرازة والبوغاز والنصح والتبشير والرعاية والتعب؟
مادامت النعمة تعمل كل شيء !!

لماذا يتعب الراعى ، ويرعى ويفتقد ويجاهد ؟ اليس الله
قادرا ان يتكلم فى قلوب الناس ويخلصهم وحده ؟! ما لزوم
الرسل اذن والرعاة والوعاظ ؟! وما لزوم كل جهاد ؟ وهل
نسمى كل هذا ذراعا بشرية ؟

لو كانت النعمة تعمل وحدها كل شيء ، فالكاهن اذن
ينام ، ويصلى فى قلبه قائلا : أنت يا رب الذى تتولى رعاية
شعبك . من انا حتى أجاهد وأرعى ؟! ليس لمن يشاء ولا لمن
يسعى بل لك أنت الذى ترعى الشعب !!

والواعظ ، لماذا يعظ ؟ يكفيه ان ينام فى البيت مستريحا
ويقول : نعمتك يا رب هى التى تتكلم فى قلوب الناس
وترشدهم وتخلصهم !!

وأنت ، لماذا تتعب نفسك فى حياتك الخاصة ، فى الصلاة
وفى الصوم وفى الجهاد . استرح معتمدا على أن النعمة تفعل
كل شيء !

العمل مع الله :

نقول هذا لأنه كم من أناس ضيعوا آخرين بنصيحة
خاطئة يقولون فيها : لا تجاهد . لماذا تجاهد ؟ ان الله لا يبدأ

فى العمل معك الا عندما تقف أنت ! فابطل عملك لكى يعمل
الله !!

ما هذا الكلام العجيب القاتل ؟ ما معنى أن تبطل عملك
لكى يعمل الله ؟! لماذا لا تشترك فى العمل مع الله ، فيعمل الله
معك ، ويعمل الله فيك ، ويعمل الله بك • كما قال بولس عن
نفسه وعن أبولس « فاننا نحن عاملان مع الله » (١ كو ٣ : ٩) •
لماذا نفصل عملنا عن عمل الله ؟ لماذا لا نعمل سويا ،
نشترك معه وهو معنا • وهكذا يتكلم يوحنا الرسول عن
الرب وعن « الشركة معه » (١ يو ١ : ٦) • كما يتكلم بولس
الرسول عن شركة الروح القدس •••

الله بنعمته ، بقوته ، بروحه القدس ، يقول لك : أنا
أريد أن أعمل معك لتخليصك • فان قبلت العمل معى تخلص ،
وان لم تقبل فانك تحرم نفسك من هذا الخلاص •• أنا واقف
على الباب ، أعرض نعمتى ومحبتى وقوتى ومعونتى وكل
الامكانيات اللازمة لخلاص النفس التى أقرع على بابها • ولكن ••
ان فتح أحد الباب لى ، ان قبل أن يعمل معى ، ان سلمنى
أحد ذاته لكى أعمل فيها ، ان استسلم أحد لعملى ، حينئذ
أشترك معه ، وهو معى •

مثال من التطرف :

من أسوأ ما قرأت فى حياتى عن التطرف فى انكار قيمة
الأعمال ، ما كتبه ف • ب • ماير فى كتابه (مخلصون ومحفوظون)

ان أشد البروتستانت تعصبا في محاربه الجهاد ، يقولون أن
للإنسان جهادا واحدا في حياته هو جهاد الصلاة • أما ف.ب. •
ماير هذا فانه يحارب أيضا الجهاد في الصلاة •

فيقول تحت عنوان (عندما كفت عن مجهوداتي) :
« ليس أمامك الا أن تدرك هذه الحقيقة ، وهي أنك طالما كنت
تصارع مع الله فانك تخسر أئمن بركاتك ! . لقد صارع يعقوب
مع الله طول الليل ولم يتقدم خطوة واحدة • وعندما لم يستطع
أن يصارع بعد ، لأن حق فحذه قد انخلع ، وكان على وشك
السقوط ، نال البركة التي جعلته رئيساً » !!

ويستطرد ماير فيقول : « لقد تأوهت وجاهدت وتوسلت
لكن بلا جدوى • والآن اصمت واسكت !! ان مجهوداتك
الجبارة زادت أمورك تعقيداً » !! ويظل هذا الكاتب
البروتستانتى يحارب الصلاة والجهاد والتوسل والصراع مع
الله ، الى ان يقول « اعلم أن الله قادر أن يخلصك ••• لقد
كان منتظرا كل هذا الوقت الطويل ليخلصك ، وحالما تنتهى
مجهوداتك سيبدأ هو » !! وهكذا يدعو الى ابطال السعى ،
قائلا فى باب آخر عنوانه (لا نسعى بل نتقبل) : « انك لن
تحصل على البركة التى تتوق اليها بالكفاح والنضال
بصرخاتك القوية وصلواتك ، بعزيمتك ومساعدتك • بل بأن
تهدىء نفسك أمام الله وتقبل النعمة » •

ثم شرح مثلا لفشل مجهودات الصلاة ، فروى قصة عن

انسان ظل يجاهد سنتين ، رفع فيهما صلوات الى الله ليهبه قوة
للتغلب على تجربته • وبدا أن الصلوات لم تسمع • ولما ينس
جدا ، ولما أبطل الصلاة ، بدأ الله يعمل ••• !!!

هل هذا تعليم يرضى ضمير أحد؟! والكتاب يدعونا في
كل أسفاره ، أن نجاهد في الصلاة ، وأن نصلي بلا انقطاع
وأن نسهر ونصلي ••• ولكنه التطرف البروتستانتى فى
انكار قيمة الجهاد حتى فى الصلاة !!

التدريب الروحية :

ان البروتستانت ومن اليهم ممن يحاربون الجهاد والعمل ،
يحاربون أيضا التدريب الروحية ، كما لو كانت هى أيضا
اعتمادا على ذراع بشرية •••

ونحن نقول انه اذا سلك الانسان فى التدريب الروحي ،
معتمدا على قوته الخاصة ، فانه يخطيء ولا شك • جيد أن
يدرّب كل انسان نفسه ، ولكن معتمدا على قوة الله ، مردداً
قول بولس الرسول « أستطيع كل شيء فى المسيح الذى
يقوينى » (فى ٤ : ١٣) •

وبولس الرسول يتحدث عن تدايبه فيقول فى سفر
الاعمال « كذلك انا ايضا ادرب نفسى ، ليكون لى دائما ضمير
بلا عثرة من نحو الله والناس » (أع ٢٤ : ١٦) • ويقول فى

رسالته الى فيلبي « وفي جميع الاشياء قد تدربت ان اشبع
وان اجوع ، وان أستفضل وأن أنقص » (في ٤ : ١٢) . . .
لقد تدرب في كل شيء ، وأصبحت له الحواس مدربة
(عب ٥ : ١٤) .

لا مانع اذن من أن يستخدم المؤمن التداريب الروحية ، بل
ان يصلي الى الله ويقول « دربنى في حقاك وعلمني » (مز ٢٥: ٩) .
ولكن في كل هذه التداريب يعتمد على قوة الله التي تعينه .
وفي كل نجاح له ، ينسب الفضل لله وليس لشجاعته الخاصة
وضبطه لنفسه .



الفصل الرابع

الثقة وضمان الملكوت

سؤالان يمران بأذهان الكثيرين :

- ١ - ما هي حدود الرجاء في مراحم الله ؟
- ٢ - هل يحق للمؤمن أن يعتبر نفسه ضامنا للملكوت ؟
فما هي الاجابة عنهما ؟

ما هي حدود الرجاء في مراحم الله ؟

١ - ثقة في الله ، غير محدودة :

أنسال : ما هي حدود الرجاء في مراحم الله ؟ في الواقع ، ليس لهذا الرجاء حدود . فبمقدار ما تكون مراحم الله ، هكذا يكون الرجاء فيها . وما دامت مراحم الله غير محدودة ، هكذا أيضاً الرجاء في مراحم الله غير محدود .

ان الرجاء هو احدى الفضائل الثلاث الكبار (اكو ١٣: ١٣) . وهو - ككل فضيلة - ينمو في الانسان حتى يصل الى كماله النسبي فيه . ولا يبلغ الرجاء كماله ، الا اذا خلا من كل شك ، وتثبت بكل يقين .

وثقة الرجاء تأتي من أمرين: أحدهما يتعلق بالله ، والثاني
بالإنسان نفسه • أما عن الرجاء - من جهة الله - فهو يبني على
الإيمان بصفات الله ، ومعاملاته السابقة ، وكفارة دمه ، وصدق
مواعيده •

ومن صفات الله انه غير محدود في رحمته وشفقته ومغفرته
ومحبته ، وانه لا يسر بموت الخاطيء ، بل بأن يرجع ويحيا
(حز ١٨ : ٢٣) • ومعاملات الله السابقة تثبت لنا هذه
الصفات ••• وكفارة دمه غير محدودة ، كافية لغفران خطايا
العالم كله من أول الدهور الى آخرها • أما وعوده فهي كثيرة
وصادقة تفتح أبواب الرجاء واسعة أمام التائبين •

هذه هي إحدى زوايا الرجاء • ومن ينظر منها الى الأبدية ،
يشبع أملا • أما الزاوية الأخرى فهي الإنسان ذاته •
فهل نظرة الإنسان الى ذاته يمكن أن تجلب الثقة بأنه ضامن
للملكوت ؟

ب - عدم ثقة بارادتنا الخاصة :

لست أميل الى الترتيلة التي تقول « انى واثق ••• »
هي ترتيلة بروتستانتية بلا شك • وعلى الرغم من أن بعض
ألفاظها سليمة وصحيحة ، الا أنها - فى مجموعها - تعطي
تعلينا بروتستانتياً غير سليم •
ان سألك أحد « هل أنت واثق ؟ » فيماذا تجيب ؟ •••

نعم ، أنا واثق بدم المسيح ، ثقة لا حدود لها • ولكنني
لا اثق بنفسى • لا اثق بعورية ارادتى ، التى ربما تميل الى
الشر • وبعدها بدأت بالروح ، ربما اكمل بالجسد (غل ٣:٣)

ولذلك فان الذين يفقدون الخلاص ، يفقدونه ليس بسبب
أن الله عاجز عن أن يخلصهم ، وانما بسبب أن ارادتهم الحرة
قد انحرفت نحو الشر •••

فهل يفقد الانسان الرجاء ؟ كلا ، فهذا تطرف وقع فيه
قايين - أول خاطيء من بنى آدم - حينما قال « ذنبى أعظم من
أن يحتمل » (تك ٤ : ١٣) • وفى قطع الرجاء وقع يهوذا
أيضا ، اذ مضى وخنق نفسه (متى ٢٧ : ٥) •

وكما يخطيء الانسان اذا فقد الرجاء ، يخطيء ايضا اذا
اعتمد على رجاء كاذب مبنى على بره الذاتى • ويخطيء كذلك
اذا كان فى اعتماده على دم المسيح ، ينسى اجتهاده واحتراسه ،
ولا يفعل ما يجعله مستحقا لفاعلية دم المسيح •••

ويخطيء من يظن أنه لا صلة له بالحطية على الاطلاق ، وأنه
قد تجدد وقد تقدس وأصبح فى حياة اخرى لا يمكن فيها أن
يخطيء • هذ ايضا رجاء كاذب • ويختفى وراءه لون من البر
الذاتى ، سواء كان يدرى به صاحبه أو لا يدرى •••

اننا نثق بدم المسيح ، ونثق بكفاية كفارته وفدائه •

ولكننا - فى داخل انفسنا - نعترف بأننا خطاة ، ونعترف
بأنه ما أسهل أن تضيعنا خطيئتنا ٠٠٠

ان الذى يقول « أنا ضامن للملكوت » ، كأنه يقول :
« أنا ضامن اننى سوف لا أخطئ » . وان أخطأت ، فأنا ضامن
اننى سوف أتوب توبة صادقة مقبولة !! « أو لعل مثل هذا
يحتج على كلامى ويقول : كلا ، سوف لا أتحدث عن التوبة .
وانما ان اخطأت » فلنا شفيح عند الأب ، يسوع المسيح البار،
وهو كفارة عن خطايانا » (ايو ٢ : ١ ، ٢) ٠٠٠

نعم ، ياخى . هو كفارة عن خطايانا . ولكنه هو ايضا
الذى قال « ان لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون »
(لو ١٣ : ٣) . هل تظن انه سيسفح فيك دون أن تتوب؟!
كلا ، ان هذا وهم باطل . فاهتم بأبديتك اذن ، وتب .
واعرف أن الذى لا يتوب ، سوف لا يشفع المسيح فيه .
وانما ينذره قائلاً : « احفظ ، وتب . فانى ان لم تسهر ،
اقدم عليك كلص ، ولا تعلم أية ساعة اقدم عليك » (رؤ ٣ : ٣) .

تواضع اذن ياخى . واستمع الى قول بولس الرسول
منذراً « ٠٠٠ اذن من يظن انه قائم ، فلينظر أن لا يسقط »
(اكو ١٠ : ١٢) .

انك لست أقوى من الذين سقطوا ، بل ربما لم تصل الى
شيء من درجاتهم بعد ، قبل سقوطهم . انظر ماذا يقول بولس

الرسول ، وتمعن جيداً فى الصفات التى يوردها • انه يقول
« لأن الذين استنبروا مرة ، وذاقوا الموهبة السماوية ، وصاروا
شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر •
الآتى ، وسقطوا ٠٠٠ » [عب ٦ : ٤ - ٦] •

يا للهول ، ويا للخوف !! هل وصلت يامن تضمن الملكوت
الى هذه الدرجات العالية التى كانت لأولئك؟! هل استنرت،
وصرت شريكاً للروح القدس، وذقت الموهبة السماوية وكلمة
الله الصالحة وقوات الدهر الآتى؟! ومع ذلك فان الذين نالوا
كل هذه المواهب قد سقطوا • ولم يسقطوا فقط بل هلكوا •
لأن الرسول يقول انه « لا يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة »
ويشبههم بأرض « مرفوضة وقريبة من اللعنة ، التى نهايتها
الحريق » (عب ٦ : ٦ ، ٨) •

ج - هل خلصت ام لم تخلص ؟

قال لى أحد الشبان : « بماذا أجيب اذن ، ان سألنى
شخص قائلاً « هل خلصت ام لم تخلص ؟ » •••

أولا يجب أن تدرك أن من يسألك هكذا ليس ارثوذكسياً
خالصاً • لابد أن يكون بروتستانتى المذهب ، أو على الاقل
بروتستانتىا فى بيئته وثقافته • لأن الذى يتجاهل معموديتك ،
وما نلته من الأسرار المقدسة ، ويلقى فى نفسك الشك فى

ايمانك ، ويدعوك من الآن الى الايمان والى الخلاص ، كما لو كنت
وثنيًا فى حياتك السابقة !! مثل هذا ، لا يمكن أن يكون
أرثوذكسياً ، فلغته تظهره •

أما الاجابة على سؤاله فهى : نعم ، اننى خلصت فى
المعمودية من الخطية الأصلية ، الخطية الجدية الموروثة • نلت هذا
الخلاص الأول بدم المسيح وفاعلية كفارته وفدائه • أما الخلاص
النهائى ، فننال بعد أن نخلع هذا الجسد • اننا ما نزال فى
حرب ، « ومصارعتنا ليست مع دم ولحم ، بل مع اجناد
الشر الروحية » (اف ٦ : ١٢) • وسننال الخلاص عندما نقلب
وننتصر فى هذه الحرب •

وطالما نحن فى الجسد ، لا نستطيع أن نقول اننا انتصرنا
وخلصنا لذلك فالكنيسة المقدسة لا تعيد للقديسين فى
يوم ميلادهم الجسدى ، ولا فى يوم انضمامهم الى الكنيسة ،
وانما فى يوم نياحتهم ، أو استشهادهم ، عملا بقول الكتاب
« انظروا الى نهاية سيرتهم ، فتمثلوا بايمانهم » (عب ١٣ : ٧) •
وهكذا فى مجمع القديسين فى القديس الالهى ، نذكر نفوس
جميع الأبرار الذين كملوا فى الايمان ، أو اكتملت حياتهم
فى الايمان •

نذكر هنا قصة نياحة القديس العظيم الأنبا مقاريوس
الكبير ، الذى طاردت الشياطين روحه بعد خروجها من الجسد ،

قائلين له « خلصت يا مقاره » • وكيف انه لم يقل لهم • تعلم •
• بنعمة المسيح خلصت » الا بعد أن دخل الى الفردوس •

د - لتكن اجابتم من ايمان الكنيسة :

ان سنلتهم سؤالاً عقيدياً ، فلا تجيبوا مطلقاً معتمدين على
فكركم الخاص أو فهمكم الخاص • فقد قال الكتاب « على فهمك
لا تعتمد » (ام ٣ : ٥) •

انت ابن الكنيسة القبطية الارثوذكسية ، جاب اذن
بايمان الكنيسة القبطية الارثوذكسية • ايمانها كما يظهر في
كتبها الكنسية المعترف بها ، وكما يظهر في اقوال آباءها ،
وفي قوانينها وتقاليدها • وسأنظر الآن الى كتابين هامين من
كتب الكنيسة هما الخولاجي المقدس والاجبية ، وأرى ماذا
يعلماننا في موضوعنا هذا •••

انك تصلى كل يوم في صلاة الغروب وتقول « اذا كان
البار بالجهد يخلص ، فأين أظهر أنا الحاطي » • « احسبني
يا الله مع أصحاب الساعة الحادية عشرة ، لأنى آفنت عمري
في اللذات والشهوات ، وقد مضى منى النهار وفات » • لكل
اثم بحرص ونشاط فعلت ، ولكل خطية بشوق واجتهاد
ارتكبت ، ولكل عذاب وحكم استوجبت » •

هل في عبارة واحدة من كل هذا ، ما يدل على انك قد

خلصت وضمنت الملكوت وانتهى الأمر • أم هي صلوات من
نفس منسحقة معترفة بخطاياها ، معترفة بأنها تستحق كل
عقوبة ، طالبة الرحمة من الرب ؟ •••

بنفس هذا الانسحاق تقف أمام الله فى صلاة النوم وتقول
« هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوب ومرتعب
من أجل كثرة ذنوبى ، لأن العمر المنقضى فى الملاهى يستوجب
الدينونة • لكن توبى يانفسى مادمت فى الجسد ساكنة ••• » •
وتوبخ نفسك قائلاً « اذا انكشفت أفعالك الرديئة وشرورك
القبیحة ، أمام الديان العادل ، فأى جواب تجيبى ، وأنت على
سرير الخطايا منطرحة ، وفى اخضاع الجسد متهانة !؟ » ••

انه انسحاق العشار الواقف أمام الله فى ذلة ، وليست
كبرياء الفريسي ••• اننا لا نقف كأبرار قد تجددوا وتقدسوا،
ونالوا الخلاص ، وضمنوا الملكوت انما فى كل صلاة نعترف
باستحقاقنا للدينونة ونطلب الخلاص •••

وهكذا فى صلاة « تفضل يا رب » فى صلاة النوم ،
يتضرع كل منا قائلاً : « أنا طلبت الى الرب وقلت : ارحمنى
وخلص نفسى ، فانى اخطأت اليك • التجأت يا رب اليك ،
فخلصنى ، وعلمنى أن أصنع مشيئتك » •

وصلاة الساعة السادسة نستهلها بقول المزمور « اللهم

باسمك خلصني « (مز ٥٣ : ١) • ونقول فيها « مزق صك
خطايانا ، ايها المسيح الهنا ونجنا » •

وهكذا تعلمك الكنيسة أن تتضرع الى الرب كل يوم أن
يمزق صك خطاياك ، مختتما هذه القطعة من الصلاة بقولك
« كلامي ا قوله ، فيسمع صوتي ، ويخلص نفسي بسلام » •

انك نلت خلاصاً في المعمودية من خطيئتك الأصلية ،
ومات انسانك العتيق ، عندما مت مع المسيح ودفنت معه •
ولكنك مع ذلك ، ما تزال تخطيء كل يوم • وان قلت انك
لا تخطيء تضل نفسك ولا يكون الحق فيك (ايو ١ : ٨) •

انت تخطيء كل يوم ، واجرة الخطية الموت • اذن فانت
تتعرض للموت كل يوم • وتحتاج في كل يوم الى الخلاص •
تحتاج الى دم المسيح يومياً ليظهرك من كل خطية • لذلك
تحتاج باستمرار الى أن تعترف بخطاياك ، وتتوب ، وتتناول
من جسد الرب ودمه الذي « يعطى عنا خلاصاً ، وغفراناً
للخطايا ، وحياة أبدية لكل من يتناول منه » حسبما تعلمنا
صلوات القديس الالهى •

انه خلاص اذن يتجدد باستمرار ، تطلبه كل يوم ، وتأخذه
في كل توبة ، وفي كل تحليل يصليه الكاهن على رأسك ،
وفي كل تناول من جسد الرب ودمه •

• نرجع بعد هذه المقدمة الى موضوع الثقة وضماني الملكوت •

أسس الثقة وشروطها

كما يشرحها يوحنا الرسول

ثقة بولس و يقينه :

الذين يتكلمون عن ضمان الملكوت ، يعتمدون أولاً على قول بولس الرسول « فاذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم المسيح ٠٠٠ » (عب ١٠ : ١٩) وكذلك قوله عن نفسه « لأننى عالم بمن آمنت ، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى الى ذلك اليوم » (٢ تى ١ : ١٢) . وقوله أيضاً « واخيراً وضع لى اكليل البر » (٢ تى ٤ : ٨) . وغير ذلك من النصوص المقدسة التى يعتمد عليها الكثيرون قائلين انهم يعيشون فى « يقين بولس » !! •

وسوف نتناول بنعمة الرب كل تلك النصوص بالشرح والتعليق فى الصفحات المقبلة ان شاء الله .

غير اننا نود ان نفهم أولاً على أى أساس تبني هذه الثقة •
لذلك لسنا نجد - فى مقدمة موضوعنا هذا - خيراً من التوضيح الجميل الذى قدمه لنا معلمنا يوحنا الرسول ، عن شروط الثقة واسبابها واساسها •

فما هى الأسس التى تحدث عنها يوحنا الرسول ؟

١ - شرط راحة الضمير :

يقول القديس يوحنا الرسول « أيها الأحباء ، ان لم تلمنا قلوبنا ، فلنا ثقة من نحو الله » (ايو ٣ : ٢١) . هنا شرط : ان لم تلمنا قلوبنا . أى ان كان ضميرنا لا يلومنا أو لا ييكتنا على شيء . ان كنا لا نخطيء فى شيء يجعل قلوبنا تلوมนา . .

مصدر الثقة هنا اذن ، وأساسها الذى تبنى عليه ، هو أن قلوبنا تكون راضية من جهة علاقتنا بالله ، لا تلوมนา على شيء . أما اذا لامتنا ، فان الثقة بالتالى تترزعزع بلا شك .

اذن تأتي الثقة من راحة الضمير . وكيف تأتي راحة الضمير هذه ؟ يوضح القديس يوحنا هذه الفكرة فيقول « ان لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله . ومهما سألنا ننال منه ، لأننا نحفظ وصاياهم ، ونعمل الأعمال المرضية أمامه » (١ يو ٣ : ٢١ ، ٢٢) .

لقد اتضح اذن مصدر هذه الثقة . وهو أننا نحفظ وصايا الله ، ونعمل الأعمال المرضية أمامه . هذا هو حجر الزاوية فى التعليم . طالما نحن نحفظ وصايا الله ونعمل الأعمال المرضية أمامه ، فان ضميرنا يكون مستريحا ، ولا يوجد شيء تلوมนา قلوبنا عليه ، وحينئذ يكون لنا ثقة من نحو الله .

ماذا قال معلمنا يوحنا الرسول أيضا ؟

٢ - شرط الثبات في المسيح :

يقول « والآن أيها الأولاد ، اثبتوا فيه • حتى اذا أظهر ، يكون لنا ثقة ، ولا نخجل منه في مجيئه • ان علمتم أنه بار هو ، فاعلموا أن كل من يصنع البر مولود منه »
(١ يو ٢ : ٢٨ ، ٢٩)

هنا شرط آخر للثقة ، وهو أن نكون ثابتين في المسيح •
فان لم نثبت في المسيح ، لا تكون لنا ثقة ، ونخجل منه في مجيئه ••• انه تعليم واضح •

هل تقول اذن : أنا خلصت ، انى واثق ، أنا ضامن للملكوت !! بينما ضميرك يوبخك على سلوك معين ، أو أنت غير ثابت في المسيح ••• حينئذ تكون فى موقف من يخدع نفسه ، أو من يتكلم كلاماً فى الهواء •••

أتريد أن تكون لك ثقة ؟ اثبت في المسيح • وان أردت أن تعرف ما معنى الثبات فيه ، تعال بنا نسال الكتاب ونسترشد به :

يقول بولس الرسول « فاثبتوا اذن فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ، ولا ترتبكوا أيضا بنير عبودية » (غل ٥: ١)
أى لا تسمح لأية خطية أن تستعبدك •
وماذا أيضاً فى معنى الثبات ؟

يقول يوحنا الرسول موضحا « كل من يثبت فيه لا يخطيء » .

• كل من يخطيء ، لم يبصره ولا عرفه « (١ يو ٣ : ٦) »
اذن ان كنت تخطيء ، فأنت غير ثابت فيه • وان كنت غير
ثابت فيه ، فلا تكون لك ثقة • وحينئذ تخجل منه فى مجيئه •

ما أسهل اذن أن تقول انى واثق ، أو تقول انى ضامن
للملكوت ، دون أن تقدر ما يقوله الكتاب فى شرح معنى هذه
الثقة ، التى تتطلب منك أن لا تخطيء •••

يؤكد يوحنا الرسول هذا المعنى ، فيقول فى نفس رسالته
« من يحفظ وصاياهم يثبت فيه ، وهو فيه » (١ يو ٣ : ٢٤) •
هذا هو الثبات المتبادل ، يأتى عن طريق حفظ الوصايا •

ولكن الى أية درجة يحفظ الانسان الوصايا ؟ يجب
الرسول :

« من قال انه ثابت فيه ، ينبغى انه كما سلك ذاك ،
يسلك هو أيضا » (١ يو ٢ : ٦) •

من يجروء بعد هذا النص الصريح أن يقول انه ثابت فى
الرب ؟! وان كنا غير ثابتين ، فكيف اذن تكون لنا ثقة ، ولا
نخجل منه فى مجيئه •••

اذن بدلا من عبارة انى واثق ، وانى ضامن ، يحسن بعد
هذا كله ، أن نقف مع العشار المنسحق ، ليقرع كل منا قلبه
ويقول « ارحمنى يا رب فانى خاطيء » (لو ١٨ : ١٣) •

تستطيع أن تقول انك واثق وانك ضامن الملكوت ، ان كنت على الدوام ثابتا فى المسيح ، كما سلك هو تسلك أنت أيضا • أو على الأقل ان كنت على الدوام تحفظ وصاياہ ، وتفعل فى كل حين ما يرضيه • لأن الرسول يقول « وأما الذى يصنع مشيئة الله ، فيثبت الى الأبد » (١ يو ٢ : ١٧) • ويقول أيضا « ان ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء ، فأنتم أيضا تثبتون فى الابن وفى الآب » (١ يو ٢ : ٢٤) •

ورب المجد نفسه يشرح لنا أهمية الثبات فيه ، فيقول
« ان كان أحد لا يثبت فى ، يطرح خارجا كالغصن ، فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق »
(يو ١٥ : ٦) •

أتريد اذن أن تثبت فيه كالغصن ، وتسرى فىك عصارة الكرمة فلا تجف ، ولا تلقى الى النار فتحترق ، اسمع الرب يقول « من يأكل جسدى ويشرب دمنى ، يثبت فى وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٦) • وماذا أيضا يا رب ؟ يقول « ويحيا الى الأبد » (يو ٦ : ٥٨) •

اذن فمن شروط الثقة : راحة الضمير ، والثبات فى الرب ، بكل ما يحمل هذان الشرطان من تفاصيل •
فما هو الشرط الثالث اذن ؟ انه :

٣ - شرط المحبة الكاملة :

قال الرسول انه من ضمن شروط الثقة، أن يثبت الانسان في الله . ولكي يثبت في الله ، ينبغي أن يثبت في المحبة ، لأن الله محبة . وهكذا قال القديس يوحنا الحبيب « الله محبة . من يثبت في المحبة ، يثبت في الله ، والله فيه » (١ يو ٤ : ١٦)

فان ثبت الانسان في محبة الله ، وتكاملت محبته ، حينئذ تكون له ثقة . ولهذا يتابع الرسول كلامه فيقول « بهذا تكملت المحبة فينا ، ان يكون لنا ثقة في يوم الدين » (١ يو ٤ : ١٧)

وكيف نثبت في محبة الله ؟ يقول الرب نفسه « ان حفظتم وصاياي ، تثبتون في محبتي ، كما اني أنا قد حفظت وصايا أبي واثبت في محبته » (يو ١٥ : ١٠) . لكي نصل اذن الى المحبة الكاملة التي تجلب الثقة ، علينا بلا شك أن نكون كاملين في حفظ وصاياها .

وطبيعي اننا ان وصلنا الى هذه الثقة كنتيجة للمحبة الكاملة ، حينئذ لا نخاف بل نطمئن . ولهذا يتابع الرسول كلامه فيقول « لا خوف في المحبة . بل المحبة الكاملة تطرح الخوف الى خارج » (١ يو ٤ : ١٨) .

فهل وصلت ايها الاخ الى المحبة الكاملة ؟ هل اصبحت تعب الرب من كل قلبك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قدرتك ؟

وهل فى محبتك الكاملة لله أصبحت تبغض العالم بكل ملاذ • وشهواته وأمجاده ، وتبغض حتى نفسك ؟ ان كنت كذلك ، وان استمر الحال بك كذلك ، فطوباك • لك ان تثق ، طالما أنت ثابت فى هذه المحبة الكاملة •

كلمة ختامية :

اذن فالثقة كما يشرحها معلمنا القديس يوحنا الرسول ، لها شروط • ومن شروطها أن يحفظ الانسان وصايا الله ويعمل كل حين ما يرضيه ، حتى يرتاح بذلك ضميره ، ولا يلومه قلبه على شىء • ومن شروطها الثبات فى المسيح ، بكل ما تحمله هذه العبارة من معنى • ومن شروطها الوصول الى المحبة الكاملة من نحو الله ، حتى تستطيع المحبة أن تطرح الخوف الى خارج •

ان وصل الانسان الى هذه الدرجات ، تكون له الثقة الكاملة ، ويصل الى « يقين بولس » الذى يتغنون به ، والنسب سنشرحه الآن •

صدقونى ، ان كثيراً من الذين يقولون انهم واثقون وضامنون ، تفكيرهم سطحي جداً ، ولم يصلوا الى الفهم الحقيقى لمعنى هذه الثقة كما شرحها القديس يوحنا الرسول •

الثقة واليقين

في رسائل بولس الرسول

١- يقين بولس وإكليله :

يقولون انهم واثقون من الخلاص لأن بولس الرسول قد قال « وأخيرا وضع لي أكليل البر » (٢ تي : ٤ : ٨) .
وأیضا لأنه قال « لأننى عالم بما آمنت ، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى الى ذلك اليوم » (٢ تي : ١ : ١٢) .

١ - من قال هذا الكلام ؟ :

أول شيء ينبغى أن نعرفه هو : من قال هذه العبارات ؟
لقد قالها بولس الرسول وهو من أكبر الرسل بلا منازع .
بولس الذى قال « مع المسيح صلبت ، فأحيانا لا أنا بل المسيح يحيا فى » (غلا : ٢ : ٢٠) . بولس الذى قال « فانى متيقن أنه لا موت ولا حياة ، ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوات ، ولا أمور حاضرة ولا مستقبلية ، ولا علو ولا عمق ، ولا خليفة أخرى ، تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التى فى المسيح يسوع ربنا » (رو : ٨ : ٣٨ ، ٣٩) .

لقد قال هذا الكلام بولس الذى اختطف الى السماء

الثالثة ٠٠٠ الذى أشفق الله عليه من فرط الاعلانات
(٢ كو ١٢ : ٢ ، ٧) ٠٠٠

فهل أنت أيها الواثق تشبه بولس الرسول فيما وصل
اليه من سمو وروحانية ونعمة؟! لا يجوز مطلقا أن تأخذ
حالة القديسين وتنسبها الى نفسك . ان كان بولس موقنا ،
فليس معناه أنك كذلك ٠٠٠ ثم هناك نقطة أخرى وهى :

ب - متى قال القديس بولس هذا الكلام ؟ :

قال مار بولس هذه العبارات وهو فى أواخر أيامه .
لذلك قال قبلها مباشرة « فانى أنا الآن أسكب سكيبا ، ووقت
انحلالى قد حضر » (٢ تى ٤ : ٦) . وقال هذا أيضا بعد
أن « جاهد الجهاد الحسن ، وأكمل السعى ، وحفظ الايمان »
(٢ تى ٤ : ٧) .

**ولا مانع مطلقا - بالنسبة الى انسان بار قديس فى
اواخر أيامه - أن يعطيه الرب ثقة ورجاء ، أو أن يجعله يرى
الاكليل الذى ينتظره ، كما كان بعض الشهداء يرون أكاليلهم
قبل سفك دمائهم من أجل المسيح .**

ومع ذلك فلنفحص هاتين العبارتين بالتدقيق ، ونرى على
أى شىء يدلان .

ج - « انى موقن أنه قادر » :

يقول بولس الرسول انه موقن بأن الله قادر أن يحفظ

وديعته • فماذا تعنى هذه العبارة ؟ لا شك أن الله قادر على أن يحفظ وديعة أى انسان ، ولكن ماذا عن الانسان ذاته ؟ فى أى اتجاه تسير ارادته ؟

ان الله قادر ، وربما أنت لا تريد ••• الله قادر ان يحفظ وديعتك ، وأنت ربما تلقيها بحرية ارادتك الى الجحيم ••• ألم يقل « كم مرة أردت ••• ولم تريدوا » (مت ٢٣ : ٣٧) •

ان قدرة الله أمر لا يشك فيه أحد • ولكن قدرة الله لا تلغى حرية ارادتك • بالنسبة الى مار بولس الرسول ، كانت حرية ارادته متفقة اتفاقا كاملا مع قدرة الله على حفظ وديعته • فهل أنت كذلك؟! •

نتناول بعد هذا العبارة الأخرى التى قالها الرسول :

د - « أخيرا وضع لى اكليل البر » :

قال بولس الرسول « وأخيرا قد وضع لى اكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل » • قال ان الاكليل قد وضع ، ولم يقل انه قد أخذ الاكليل ، فالاكليل موضوع يأخذه البار فى ذلك اليوم •

وكم من أشخاص وضع لهم هذا الاكليل وفقده • لذلك ينذر الرب ملاك كنيسة فلادلفيا ، قائلا له « تمسك بما عندك ، لئلا يأخذ أحد اكليلك » (رؤ ٣ : ١١)

هـ - ماذا قال الرسول في نفس رسالته ؟ :

ان بولس الرسول الذي قال العبارات السابقة في رسالته الثانية الى تيموثيئوس ، قال أيضا في نفس الرسالة « صادقة هي الكلمة انه ان كنا قد متنا معه ، فسنحيا أيضا معه . ان كنا نصبر ، فسنملك أيضا معه . ان كنا ننكره فهو أيضا سينكرنا » (٢ تي ٢ : ١١ ، ١٢) .

ففي قوله « ان كنا . . . » دليل على أن الأمر في خلاصنا لا يتوقف على الله فقط ، بل علينا نحن أيضا . ان لله عملا في خلاص الانسان ، كما أن للانسان عملا أيضا . ولو كان الأمر هو عمل الله وحده ، لزال ذلك حرية الانسان .

كما نلاحظ أن عبارة « ان كنا ننكره ، فهو أيضا سينكرنا » دليل على أن الانسان يمكن أن يفقد خلاصه .

٢ - الثقة بالدخول إلى الأقداس :

ان الذين يتحدثون عن ضمان الملكوت يعتمدون على قول بولس الرسول « فاذ لنا أيها الأخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع . . . لتتقدم بقلب صادق في يقين الايمان ، مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ، ومغتسلة أجسادنا بماء نقي » (عب ١٠ : ١٩ - ٢١)

ان هذا النص يتحدث عن ثقة الدخول و يقين الايمان ،
بشروط أساسية • فعبارة « مرشوشة قلوبنا من ضمير
شريف » تدل على ضرورة النقاوة والتوبة • وعبارة « مقتسلة
اجسادنا بماء نقي » تدل على ضرورة المعمودية للخلاص •

فهل اكتفى القديس بولس بكلامه هذا ، وبهذين الشرطين
فقط ؟ كلا ، اننا ان قرانا باقى كلامه ، نرى عكس ما يدعيه
هؤلاء الواثقون! يتابع الرسول كلامه فيقول « لنتمسك باقرار
الرجاء راسخا ، لأن الذى وعد هو أمين » • ولنلاحظ بعضنا
بعضا للتحرير على المحبة والأعمال الصالحة •

فما لزوم أهمية المحبة والأعمال الصالحة فى موضوع
الثقة هذا ؟ ان القديس بولس يدلل بكلامه على أن الثقة فى
« الدخول الى الأقداس بدم يسوع » انما تعتمد على أعمال
الانسان وسلوكه أيضا - والا تزعزعت هذه الثقة وانهارت
انهياراً مريعاً •

ولذلك يتابع الرسول كلامه محذراً ومنذراً : « فانه ان
أخطانا باختيارنا - بعدما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد
ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف ، وغيره نار عتيدة
أن تأكل المضادين » (عب ١٠ : ٢٦ ، ٢٧) • اين الثقة
اذن ، مع وجود هذه الدينونة المخيفة ، ان أخطانا ؟ ألا يستلزم
الأمر اذن غاية الاحتراس والحيطه ، والسلوك فى مخافة
وانسحاق ، ان كنا نريد أن نتقدم الى الاقداس فى ثقة •

ذلك لأن الرسول الذى تحدث، عن هذه الثقة بدم المسيح ، نراه لا ينسى مطلقا عدل الله . بل يتابع كلامه قائلا « فاننا نعرف الذى قال لى الانتقام أنا أجازى يقول الرب . وأيضا الرب يدين شعبه مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى » (عب ١٠ : ٣٠ ، ٣١) .

ان هذا يذكرنا بما نعرفه عن البروتستانت من خطورة استخدامهم للآية الواحدة . كان أجدر بهم فى معالجة هذا النص المقدس من أقوال مار بولس الرسول ، أن لا يأخذوا الآية الأولى من الاصحاح مكتفين بها ، دون أن يتابعوا كلام الرسول حتى نهايته .

ليتهم فعلوا ذلك ، اذن لرأوه يقول أيضا فى موضوع الثقة :

« فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة ، لانكم تحتاجون الى الصبر ، حتى اذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد » (عب ١٠ : ٣٥ ، ٣٦) . حقا « ان الذى وعد هو أمين » ، ولكن نوال الموعد يتوقف على صنع مشيئة الله . فان كنا لا نصنع مشيئة الله ، فاننا بلا شك لا ننال الموعد ، ولا تكون لنا ثقة .

ما معنى هذا ؟ هل معناه أن الله قد رجع فى هباته التى هى بلا ندامة (رو ١١ : ٢٩) ؟ كلا ، ان هبات الله هى حقا

بلا ندامة ، ولكن لها شروطة • فإذا لم تنل هباته ، لا يكون هو الذى رجع فى هباته ، وانما تكون أنت الذى خالفت الشروط • ان الله أمين فى وعده • ولكنه قال لنا على فم رسوله بولس « اذا صنعتم مشيئة الله ، تنالون الموعد » (عب ١٠ : ٣٦) •

وواضح أن عمل مشيئة الله يستغرق العمر كله • لذلك قال الرسول « لأنكم تحتاجون الى الصبر » • ومعنى هذا ان نصبر العمر كله فى عمل مرضاة الله ، حتى ننال مواعيده ••

يظهر من كلام القديس بولس الرسول فى هذا الاصحاح اذن أن « الثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع » تحتاج الى أمور كثيرة : تحتاج الى قلب صادق ، وحياة توبة ونقاوة ، وأجساد مغتسلة بماء المعمودية النقى ، كما تحتاج الى التحريض على المحبة والأعمال الصالحة ، والى صنع مشيئة الله ، والصبر على كل ذلك ، والاحتراس من فعل الخطيئة ، والا فان أخطأنا باختيارنا ، نتعرض لدينونة مخيفة ، ومخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى •

٣- الاجتهاد والصبر، لحفظ الثقة :

ان الصبر الذى تحدث عنه بولس الرسول فى قوله « فلا تطرحوا ثقتكم التى لها مجازاة عظيمة لأنكم تحتاجون

الى الصبر ، حتى اذا صنعتم مشيئة الله تنالون الموعد » ،
(عب ١٠ : ٣٥ ، ٣٦) • يعود فيتحدث عنه مرة أخرى
قائلا :

« ••• لكننا نشتهي أن كل واحد منكم يظهر هذا
الاجتهاد عينه ليقين الرجاء الى النهاية » (عب ٦ : ١١) •
اذن فيقين الرجاء يحتاج الى اجتهاد يظهره الانسان ، حتى
النهاية • والى ماذا أيضا ؟ يتابع الرسول كلامه فيقول « لكى
لا تكونوا متباطئين ، بل متمثلين بالذين بالايمان والانة
يرثون المواعيد » (عب ٦ : ١٢) •

هنا نرى بولس قد أضاف الى الايمان شيئا آخر ، هو
الانة أى الصبر ، وقال ان بهما ننال المواعيد •••

ألم يقل الرب من قبل « بصبركم اقتنوا أنفسكم »
(لو ٢١ : ١٩) ؟ وقال أيضا « من يصبر الى المنتهى فهذا
يخلص » (متى ٢٤ : ١٣) •

اننا نلنا خلاصا بالايمان فى المعمودية. ولكن هذا الخلاص
تتضافر قوى كثيرة ضده لكيما تفقدنا اياه : فضده ارادتنا
الضعيفة التى تميل كثيرا الى الشر ، وعدونا الذى « يجول
مش أسد زائر يلتمس من يبتلعه هو » (١ بط ٥ : ٨) •
وضد خلاصنا أيضا الخطية التى « طرحت كثيرين جرحى ، وكل
قتلها أقوىاء » (أم ٧ : ٢٦) •

ونحن محتاجون في كل ذلك أن « نحاضر بالصبر في
الجهاد الموضوع أمامنا » (عب ١٢ : ١) • ونظّل هكذا صابرين
الى نهاية سيرتنا • ولذلك يقول الكتاب « انظروا الى نهاية
سيرتهم ••• » (عب ١٣ : ٧) •

٤- الذى بدأ فيكم عملا، فهو يكمل :

ان الذين ينادون بالثقة وضمن الملكوت ، يعتمدون أيضا
على قول القديس بولس الى أهل فيلبى « واثقا بهذا عينه ، أن
الذى ابتداء فيكم عملا صالحا ، يكمل الى يوم يسوع المسيح »
(فى ١ : ٦) •

نعيد ما قلناه سابقا ان الله قادر أن يكمل فينا • ولكن
ماذا عن موقفنا نحن ؟! ان الغلاطيين الأغبياء كان الله قد بدأ
فيهم عملا صالحا ، ومع ذلك فان بولس الرسول يقول لهم :
« اهكذا أنتم أغبياء ، أبعدما ابتدأتم بالروح ، تكملون الآن
بالجسد » (غل ٣ : ٣) • انهم هنا هم الذين سيكملون بالجسد
ولا يتركون له فرصة أن يكمل فيهم عملا صالحا •

أما من جهة أهل فيلبى ، فمع ثقة بولس الرسول ، نراه
يصلى من أجلهم أن تزداد محبتهم ، ويزدادوا فى كل فهم ،
لكى يكونوا « مخلصين وبلا عثرة الى يوم المسيح مملوئين من
ثمر البر » (فى ١ : ٩ - ١١) • فمع أن المسيح قادر أن
يكمل، الا أن عليهم هم عملا ، أن يكونوا بلا عثرة حتى النهاية •

كما اوصاهم قائلا « عيشوا كما يحق لانجيل المسيح »
(في ١ : ٢٧) .

وقال لهم انه « قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا
به فقط ، بل أيضا أن تتألموا لأجله . اذ لكم الجهاد عينه الذي
رأيتموه في والآآن تسمعون في » (في ١ : ٢٩ ، ٣٠) .

فما معنى هذا كله ؟ وما دام الله سيكمل ما بدأه فيهم ،
فما لزوم كل تلك النصائح : أن يزدادوا في المحبة والفهم ،
وأن يكونوا بلا عثرة ، مملوئين من ثمر البر ، وأن يعيشوا
كما يحق لانجيل المسيح ، وأن يتألموا لأجله ، ويكون لهم
نفس جهاد القديس بولس !؟

ذلك لأنه كما أن على المسيح جانبا في خلاصهم ، كذلك
هم أيضا عليهم جانب يجب أن يتمموه . لذلك قال لهم
« تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (في ٢ : ١٢) . ان المسيح
سوف لا يكمل العمل وحده ، وانما سيكملة بهم وفيهم ومعهم .
ان الله لا يأخذ الناس عنوة ويلقيهم في الملكوت ، وانما لابد
أن يعملوا معه .

ولذلك نجد أن الرسالة الى فيلبى هي أكثر رسالة يقول
فيها بولس الرسول انه يسعى لكي يدرك (في ٣ : ١٢ ، ١٤) .
وقد شرح لهم بولس في نفس الرسالة مثلا من أولئك
الذين بدأوا ولم يكملوا حسنا ، فكانت نهايتهم الهلاك .
وأصبح الرسول يذكرهم باكياً . وقد طلب منهم بولس

الرسول أن يتمثلوا به في سعيه وجهاده ولا يتمثلوا بأولئك
الهالكين (في ٣ : ١٧) .

كلمة ختامية في موضوع الثقة :

ما أجمل قول سليمان الحكيم في هذا المجال « الحكيم
يخشى ويحيد عن الشر، والجاهل يتصلف ويثق » (أم ١٤ : ١٦)
لذلك فإن معلمنا بولس الرسول ينصح قائلاً « لا تستكبر
بل خف » (رو ١١ : ٢٠) . وقد نصح أهل فيلبى قائلاً
« تمموا خلاصكم بخوف ورعدة » (في ٣ : ١٢) . ويضم
بطرس الرسول صوته الى هذه النصيحة قائلاً « ان كنتم
تدعون أباً الذي يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد ،
فسيروا زمان غربتكم بخوف » (ابط ١ : ١٧) .

مادامت هناك ثقة ، وهناك يقين ، وهناك ضمان للملكوت ،
فما معنى الخوف اذن والرعدة؟! لماذا لا يعتمد الانسان على
وعود الله ويطمئن؟ نعم اننا نطمئن من جهة وعود الله ، ولكننا
لا نطمئن من جهة أنفسنا .

ولذلك مزج الرسول الحديث عن المواعيد الالهية بالحديث
عن المخافة ، فقال « فاذ لنا هذه المواعيد أيها الأحباء ، لنظهر
ذواتنا من كل دنس الجسد والروح ، مكملين القداسة في
خوف الله » (٢ كو ٧ : ١) .

الفصل الخامس

هل يمكن أن يهلك المؤمن ؟

يمكن أن يسقط المؤمن :

لعل من أشهر الأمثلة على ذلك بعض ملائكة الكنائس السبع التي في آسيا ، هؤلاء ولا شك كانوا مؤمنين • وقصص سقوطهم سنشرحها في الصفحات المقبلة ان شاء الله •
وما أسهل أن نورد العديد من الأمثلة عن الأنبياء والقديسين الذين سقطوا • على أننا سوف لا نطيل في هذه النقطة لأن غالبية جماعات البروتستانت وخلص النفوس والبيموت ، يوافقون على أن المؤمن يمكن أن يسقط • ولكنهم يقولون أنه لا يمكن أن يهلك •
فلتكن هذه النقطة الأخيرة (امكانية هلاك المؤمن) هي موضوع بحثنا واثباتنا •

كلمة « مؤمن » وكلمة « مختار » :

ان المختارين كلهم من المؤمنين ، ولكن المؤمنين ليسوا كلهم مختارين ، فقد يسقط بعضهم ويهلك • ومغالطة البروتستانت هي أنهم - كلما نورد لهم قصة مؤمن هلك - يجادلون قائلين

كلا انه لم يكن مؤمنا • لو كان مؤمنا ، ما كان قد هلك •
[انظر الفرق بين عبارتى المؤمنين والمختارين ص ٣٣ - ٣٦]
وسنحاول فى هذا البحث أن نثبت اثباتا قاطعا ايمان كل
مثل الأمثلة التى نوردتها لمن هلكوا •

الإثبات الأول

رو ١١ ، يو ١٥

مثال الغصن الذى يقطع :

بعد أن شبه بولس الرسول اليهود بأغصان طبيعية قد
قطعت من أصل الزيتون ودممها ، قال « ستقول : قطعت
الأغصان لأطعم أنا • حسنا ، من أجل عدم الايمان قطعت ،
وأنت بالايمان ثبت » (رو ١١ : ١٩ ، ٢٠) • واضح هنا
أنه يكلم مؤمنا ، قد ثبت فى الزيتون ، وطعم فيها ، وصار
شريكا فى أصل الزيتون ودممها » (رو ١١ : ١٧) • فماذا
تراه يقول لهذا المؤمن ؟

انه يقول لهذا المؤمن « لا تستكبر بل خف • لأنه ان كان
الله لم يشفق على الأغصان الطبيعية فاعله لا يشفق عليك
أيضا • فهو ذا لطف الله وصرامته • أما الصرامة فعلى الذين
سقطوا • وما اللطف فلك ، ان ثبت فى اللطف • والا فانت
أيضا ستقطع » (رو ١١ : ٢٠ - ٢٢) •

والعبارة الأخيرة « أنت أيضا ستقطع » ، هي انذار لهذا المؤمن بإمكانية هلاكه ، ان لم يثبت في لطف الله .

● يشبه هذا المثال ما قاله السيد المسيح في تشبيهه نفسه بالكرمة ، وتشبيها نحن بالأغصان . فالأغصان التي في الكرمة تدل على المؤمنين ولا شك . لأن الغصن هو عضو من أعضاء الكرمة ، تسرى فيه عصارتها . فهل يمكن أن يهلك يقول السيد الرب « كل غصن في لا يأتي بثمر ينزعه . . . ان كان أحد لا يثبت في ، يطرح خارجا كالغصن ، فيجف ، ويجمعونه ويطرحونه في النار ، فيحترق » (يو : ١٥ ، ٢ ، ٦) . وهذا معناه أن مثل هذا المؤمن غير المثمر سيهلك لا محالة .

الإنبات الثاني

(عب ٣ و عب ٤) .

مثال الشعب العاصي في البرية :

يتحدث مار بولس الرسول في هذين الاستحاجين الى « الاخوة القديسين ، شركاء الدعوة السماوية » (عب ٣ : ١) . فهل هؤلاء القديسون كانوا من المؤمنين ، أم لم يكونوا ؟ طبعي أنهم كانوا مؤمنين ولا شك . هؤلاء يحذرهم الرسول من الارتداد عن الله الحي « (عب ٣ : ١٢) . وطبعاً التحذير من الارتداد انما يوجه الى المؤمنين ، وليس الى غير المؤمنين .

هؤلاء الاخوة القديسون ، المؤمنون ، شركاء الدعوة
السماوية ، يقول لهم الرسول « لذلك كما يقول الروح
القدس : اليوم ان سمعتم صوتي ، فلا تقسوا قلوبكم ، كما
في الاسخاط يوم التجربة في القفر » (عب ٣ : ٧ ، ٨) .
فما هو يوم الاسخاط هذا ؟ وما الذي حدث فيه ؟ وعلى أي
شيء يدل في قضيتنا هذه ؟

ان الذين أسخطوا الرب ، هم الشعب العاصي في البرية ،
الذين مقتهم الرب أربعين سنة وقال « أقسمت في غضبي :
لن يدخلوا راحتي » (عب ٣ : ١١) . وهكذا هلكوا في
البرية ، وسقطت جثثهم في القفر .

هؤلاء الذين سقطوا ، الذين أقسم الله أنهم لن يدخلوا
راحتي ، الذين أسخطوا الرب في القفر ، هل كانوا قد نالوا
الخلاص قبلا أم لم ينالوه ؟ يجيب بولس الرسول فيقول
« فمن هم الذين اذ سمعوا أسخطوا ؟ أليس جميع الذين
خرجوا من مصر بواسطة موسى » (عب ٣ : ١٦) .

انهم نالوا الخلاص الأول : أنقذهم الرب من العبودية ،
وشق لهم البحر الأحمر ، واجتازوا في وسط الماء - الذي
يرمز الى المعمودية - وعبروا البحر . ولكنهم مع كل ذلك
هلكوا في القفر ، وفقدوا الخلاص الذي نالوه ، وأقسم الرب
أنهم لن يدخلوا راحته .

أليس هؤلاء يقدمون مثالا واضحا عن المؤمنين الذين

يهلكون ؟ ان هؤلاء العصاة يمثلون بلا شك الذين يرتدون
بعد الايمان فيهلكون . وقد هلكوا بسبب العصيان . وأرض
الموعد دخلها أناس آخرون . « والذين بشروا أولا ، لم
يدخلوا بسبب العصيان » (عب ٤ : ٦) .

هذا العصيان الذى يمنع من الدخول الى راحة الرب ،
يحذرنا منه الرسول قائلا « فلنجهتهد أن ندخل تلك الراحة .
لئلا يسقط أحد في عبرة العصيان هذه عينها » (عب ٤ : ١١)

بل انه يقول أكثر من هذا « فلنخف أنه مع بقاء وعد
بالدخول الى زاحته ، يرى أحد منكم أنه قد خاب منه »
(عب ٤ : ١) .

ان قصة هذا الشعب العاصى الذى فقد خلاصه الأول
وهلك انما أعطيت لنا مثالا لتتعظ ، ونذكر أنه من الممكن أن
يفقد المؤمن خلاصه . « وهذه الامور جميعها اصابتهم مثالا ،
وكتبت لانداننا ، نحن الذين انتهت اليها أواخر الدهور .
اذن من يظن أنه قائم فلينبظر لئلا يسقط » (اكو ١٠ : ١١ ،
١٢) .

● ان قصة هلاك هذا الشعب العاصى ، تذكرنا بامرأة
لوط التى خلصت من سدوم وهلكت خارجها . لذلك يقول
الكتاب « اذكروا امرأة لوط » (لو ١٧ : ٣٢) .

الإيڤات الثالث

(عب ١٠ : ١٩ - ٣٢)

ان اخطانا باختيارنا ، بعد معرفة الحق :

يتكلم بولس الرسول مع نفس « الاخوة القديسين شركاء الدعوة السمائية » (عب ٣ : ١) ، الذين بعدما أنيروا صبروا على مجاهدة الأم كثيرة ، والذين رثوا لقيود الرسول ، وقبلوا سلب أموالهم بفرح ، عاملين في أنفسهم أن لهم مالا أفضل في السموات وباقيا (عب ١٠ : ٣٢ ، ٣٤) . فماذا يقول لهؤلاء الذين يبدأ حديثه معهم قائلا « اذ لنا أيها الاخوة ثقة بالدخول الى الأقداس بدم يسوع » ؟

انه يقول لهم « فانه ان اخطانا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا ، بل قبول دينونة مخيف وغيره نار عتيده أن تأكل المضادين . . . فاننا نعرف الذى قال لى الانتقام أنا أجازى يقول الرب وأيضا الرب يدين شعبه . مخيف هو الرقوع فى يدى الله الحى » (عب ١٠ : ٢٦ - ٣١) .

هذا انذار بالهلاك لمن يخطئ من هؤلاء الاخوة المؤمنين القديسين، يعطينا فكرة عن امكانية هلاك المؤمن . لأن بولس الرسول يقول فيه « فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب

مستحقا من داس ابن الله ، وحسب دم العهد الذى قدس به دنسا ، وازدرى بروح النعمة « (عب ١٠ : ٢٩) . نلاحظ هنا أن عبارة « دم العهد الذى قدس به » ، تدل على أن هذا الهالك كان مؤمنا ، قد تقدس قبلا بدم العهد .

الإبتيات الرابع

أمثلة من هلاك المرتدين :

هؤلاء المرتدون كانوا من قبل مؤمنين ، ثم ارتدوا وهلكوا . والأمثلة فى الكتاب المقدس كثيرة توضح هلاكهم .

● يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثيوس « ولكن الروح يقول صريحا انه فى الأزمنة الأخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحا مضلة وتعاليم شياطين ، فى رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم ، مانعين عن الزواج ، وأميرين أن يمتنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفى الحق » (اتى ٤ : ١ - ٣) .

هؤلاء الذين تبعوا أرواحا مضلة وتعليم شياطين ، قد هلكوا بلا شك . ومع ذلك فان عبارة « يرتد قوم عن الايمان » تدل على أنهم كانوا مؤمنين من قبل . وهذا مثل واضح عن امكانية هلاك المؤمن ، اذا ارتد ، ينطوى تحته جميع الهراطقة والمبتدعين .

● **ومن أمثلة المرتدين ما ورد في مثل الزارع ، اذ قال الرب « والذين على الصخر ، هم الذين متى سمعوا يقبلون الكلمة بفرح . وهؤلاء ليس لهم أصل ، فيؤمنون الى حين ، وفى وقت التجربة يرتدون » (لو ٨ : ١٣) . لا يمكن أن نصدق أنه يكون خلاص لأولئك الذين على الصخر ، الذين يرتدون وقت التجربة ومع ذلك فقد سماهم المسيح نفسه مؤمنين ، ولو الى حين .**

● **ومن أخطر أنواع الارتداد ، ذلك الارتداد العام الذى سيحدث قبل مجيء المسيح ثانية . وفى ذلك قال الرسول عن مجيء المسيح الثانى « لا يخدعنكم أحد على طريقة ما . لأنه لا يأتى (أى المسيح) ، ان لم يأت الارتداد أولا ، ويستعلن انسان الخطيئة ابن الهلاك المقاوم والمرتفع على كل من يدعى الها » (٢ تس ٢ : ٣) . ولا شك أنه فى هذا الارتداد العام سيهلك كثير من المؤمنين الذين يرتدون عن الايمان .**

● **ومن أمثلة الهراطقة المبندعين الفاسدين ، الذين يرتدون ويهلكون ، ما قاله عنهم بطرس الرسول لأنه اذا كانوا بعدما نجوا من نجاسات العالم بمعرفة الرب والمخلص يسوع المسيح ، يرتبكون أيضا فيها فينغلبون ، فقد صارت لهم الأواخر أشر من الأوائل . لأنه كان خيرا لهم لو لم يعرفوا طريق البحر ، من أنهم بعدما عرفوا يرتدون عن الوصية المقدسة المسلمة لهم » (٢ بط ٢ : ٢٠ ، ٢١) .**

الإثبات الخامس

(عب ٦ : ٤ - ٨)

الذين استنبروا وسقطوا :

يقول بولس الرسول « لأن الذين استنبروا مرة ، وذاقوا
الموهبة السماوية ، وصاروا شركاء الروح القدس ، وذاقوا
كلمة الله الصالحة ، وقوات الدهر الآتى وسقطوا ، لا يمكن
تجديدهم أيضاً (ثانية) للتوبة ٠٠٠ » .

**ان الصفات الأولى تدل على ايمان هؤلاء والعبارة الأخيرة
تدل على هلاكهم** . وهذا اثبات واضح على امكانية هلاك
المؤمن . على أن البروتستانت - للأسف الشديد - يحاولون
أن يزعموا ان هؤلاء لم يكونوا مؤمنين !!! على الرغم من
استنارتهم وشركتهم مع الروح القدس ومذاقتهم المواهب
والقوات وكلمة الله !!

**ولسنا نريد أن نجادلهم كثيرا ، وانما يكفي أن نقول ان
نص الآية يدل على ايمانهم** . فعبارة « لا يمكن تجديدهم ثانية »
دليل واضح على أنه قد سبق تجديدهم من قبل ، أى أنهم
كانوا مؤمنين .

وهلاكهم واضح في تشبيه الرسول لهم بأرض « مرفوضة ،
وقريبة من اللعنة التى نهايتها الحريق » (ع ٨) .

الإثبات السادس

يقين يحتاج الى ثبات ، وله شروط :

● قال القديس بطرس الرسول « لذلك بالأكثر اجتهدوا
أيها الأخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين بالأعمال
الصالحة » (٢ بط ١ : ١٠) .

اذن فاختيار الله لنا ، ودعوته لنا ، كل ذلك يحتاج منا
الى اجتهاد بالأكثر ، لكي يكون هذا الاختيار ثابتاً ٠٠٠
والا ، فان الاختيار لا يثبت ! ٠٠٠

● يشبه هذا أيضاً قول القديس بولس « وبيته نحن ،
ان تمسكنا بثقة الرجاء وافتخاره ثابتة الى النهاية »
(عب ٣ : ٦) .

كان هذه الثقة يمكن أن تثبت أو لا تثبت ، وتحتاج الى
أن نتمسك بها حتى النهاية .

ويعود الرسول فيقول أيضاً « لأننا قد صرنا شركاء المسيح
ان تمسكنا ببداة الثقة ثابتة الى النهاية » (عب ٣ : ١٤) .
هنا شرط واجب علينا ، أن نتمسك ، حتى النهاية ٠٠٠
ويتابع الرسول كلامه فيحذرننا من أن نقسى قلوبنا ، والا
يحدث لنا كما حدث للشعب العاصي الذى هلك فى القفر .

● هذا الشرط الواجب علينا ، يكرره الرسول مرة
أخرى فى قوله « ٠٠٠ ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوى

أمامه ، ان ثبتم على الايمان ، متأسسين وراسخين
متنقلين عن رجاء الانجيل » (كو ١ : ٢٢ ، ٢٣) .

● انه خلاص من الرب ، لنا رجاء فيه ، ولكن الرسول
ينذرنا قائلاً « كيف ننجو نحن ان أهملنا خلاصاً هذا مقداره »
(عب ٢ : ٣) . اذن يمكن أن نهمل الخلاص ، فلا ننجو . . .

الإببات السابع

(رؤ ١٣ : ٧)

ما أخطر ما قيل في سفر الرؤيا عن الوحش انه
« اعطى أن يصنع حرباً مع القديسين ويغلبهم » : . . .
وعبارة « قديسين » تعنى ولا شك أنهم مؤمنون .

فان كان ممكناً أن يتغلب القديسون ، فلنحذر نحن
ولنداوم على الطلبة باستمرار لكي يرحمنا الرب ، فلا نهلك . . .

الإببات الثامن

هلاك ديماس مساعد القديس بولس :

كان ديماس أحد مساعدي بولس الرسول . ذكره في
رسالته الى كولوסי « يسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب وديماس »
(كو ٤ : ١٤) . وفي رسالته الى فليمون قال « يسلم عليكم

مرقس وارسترخس وديماس ولوقا ، العاملون معي «
(فل ٢٤) •

يذكره هنا ضمن ثلاثة من أكبر الكارزين العاملين معه
منهما اثنان من الانجيليين الأربعة • واسم ديماس يسبق
اسم القديس لوقا الانجيلي • فهل مع كل ذلك لم يكن
مؤمناً •

ومع كل ذلك ، فان ديماس المؤمن ، الكارز العظيم ، قد
هلك • وقال عنه مار بولس « ديماس قد تركني اذ أحب
العالم الحاضر » (٢ تي ٤ : ١٠) • والبروتستانت يقولون
في كتبهم انه - بعد تركه القديس بولس - صار كاهناً
وثنياً !!

باقي الإثباتات

حرصاً على عدم التكرار ، انظر ما يتعلق بهذا الموضوع
من الأدلة التي وردت في باب « الدينونة حسب الأعمال » •••

اعتراضات ، والرد عليها

الاعتراض الأول

+ (يو ١٠ : ٢٧ - ٢٩)

لا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي

أول اعتراض لهم على امكانية هلاك المؤمن هو قول الرب :
« خرافي تسمع صوتي ، وأنا أعرفها ، فتتبعني . وأنا
أعطيها حياة أبدية ولن تهلك الى الأبد ، ولا يخطفها أحد من
يدي . أبي الذي أعطاني اياها هو أعظم من الكل ، ولا يقدر
أحد أن يخطف من يد أبي » .

فما معنى هذا النص ؟ ليتنا نتأمله جيداً :

أولاً : هؤلاء الذين لا يهلكون أول صفة ذكرها عنهم الرب أنهم
خراف . والسيد المسيح يشبه الصالحين بالخراف ، كما
يشبه الأشرار بالجداء . كما ذكر في يوم الدينونة أنه
« يجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم من بعض ،
كما يميز الراعي الخراف من الجداء فيقيم الخراف عن يمينه ،
والجداء عن اليسار . ثم يقول الملك للذين عن يمينه :

تعالوا يا مباركي أبى رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس
العالم » (مت ٢٥ : ٣٢ - ٣٤) .
فما دامت هذه خرافا ، اذن هي عناصر صالحة . لأنها
لو كانت شريرة لسماها جداء .

ثانيا : لقد وصف هذه الخراف بأوصاف البر منها :

أ - يقول انها تسمع صوتي ، وتتبعني . وهذا معناها
أنها تنفذ الوصايا وتعمل أعمالا صالحة . وكلنا نوافق على أن
الذى يسمع صوت الرب ويتبعه لا يمكن أن يهلك .

ب - وفي نفس الاصحاح وصف هذه الخراف بأنها
« لا تتبع الغريب بل تهرب منه ، لأنها لا تعرف صوت الغرباء »
(يو ١٠ : ٥) . وانها لذلك لم تسمع صوت السراق واللصوص
الذين أتوا قبله (يو ١٠ : ٨) . وهذا كله يعنى أن هذه
الخراف الصالحة لا تنقاد وراء الشياطين ، ولا وراء الأشرار .

وكل هذا يدل على الصلاح من ناحيته الايجابية
والسلبية : تتبع الرب ولا تتبع الغريب . تعرف صوت الرب ،
وتميزه ، وتسمعه ، وتتبعه . ولا تعرف صوت الغرباء ،
ولا تتبعهم ، بل تهرب منهم . لسنا نرى للصلاح أدلة أكثر
من هذه . ومع ذلك نذكر دليلا آخر .

ثالثا : « يقول خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها » . وهذه
المعرفة متبادلة ، لذلك يقول أيضا فى نفس الاصحاح
« وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى ، كما أن الأب يعرفنى

وأنا أعرف الأب » (يو ١٠ : ١٤) أية معرفة أقوى من هذه . . . !! • ويفضل الرب هذه المعرفة بأنه « يدعو خرافه الخاصة بأسماء » (يو ١٠ : ٣) •

هذه المعرفة تميز الصالحين عن الأشرار الذين يقول لهم الرب « انى لم أعرفكم قط • اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم » (مت ٧ : ٢٣) • اذن فقد قال الرب عن الأشرار انه لا يعرفهم . . . يؤكد هذا أيضا قول الرب للعذارى الجاهلات « الحق أقول لكن انى ما أعرفكن » (مت ٢٥ : ١٢) •

فما دام اذن يعرف هذه الخراف التى سوف لا تخطف من يده ولا من يد الآب ، اذن لابد ان هؤلاء أنقياء القلب وصالحون . لأنهم لو كانوا أشراراً لقال عنهم : انى لا أعرفكم •

نلخص اذن صفات أولئك المؤمنين الذين سوف لا يخطفون من يد الآب :

انهم من الخراف لا من الجداء ، أى أنهم من الصالحين الأبرار • كما أنهم يطيعون وصايا الله ، فيسمعون صوته ويتبعونه • كذلك هم يبعدون عن الشر والأشرار ، اذ لا يسمعون لصوت الغريب ولا يتبعونه ، بل يهربون منه • نحن ولا شك نوافق أن مثل هذا النوع لا يهلك •

رابعا : ماذا يفهم من عبارة لا يقدر أحد « أن يخطف من يد أبى » • معناه أن القوات الخارجية لا تقدر أن تخطف

من يد الآب ولكن هذا لا يمنع من أن المؤمن وهو فى يد الآب - كامل الحرية - ممكن بارادته أن يسقط .

أن الله لا يسمح لقوة خارجية أن تنتصر عليك وأنت فى يده . ولكن ارادتك الداخلية يمكن أن تهلكك ان أردت . لو قلت له أعن يارب ضعفى فإنه يطرد عنك جميع القوى المعارضة . أما ان أردت بنفسك أن تتركه فإنه لا يرغبك على البقاء معه .

ما رأيكم فى بعض خراف كانت فى يد المسيح ، وضلت ، وسقطت ، واحتاجت الى التوبة وقيل عن البعض ان له اسما انه حى وهو ميت؟! من أمثلة هؤلاء بعض الملائكة السبعة الذين ورد ذكرهم فى سفر الرؤيا .

قال يوحنا الرأى انه أبصر السيد المسيح فى وسط المنائر السبع التى هى السبع الكنائس . وكان « معه فى يده اليمنى سبعة كواكب . . . والسبعة الكواكب هى ملائكة السبع الكنائس » (رؤ ١ : ١٦ ، ٢٠) . وأول رسالة بدأها الرب بقوله « هذا يقوله المسك السبع الكواكب فى يمينه » . اذن فهم ليسوا فى يده فقط ، وانما فى يمينه . وكلمة يمين ترمز الى القوة « يمين الرب صنعت قوة » . يمين الرب رفعتنى « (مز ١١٧ : ١٥ ، ١٦) .

هؤلاء الذين هم فى بيمين الرب ، هؤلاء الجبابرة رعاة الكنائس ، ماذا قال لهم الرب ؟ قال لهم كلاما مخيفاً . .

قال لملك كنيسة أفسس « ٠٠٠ فأذكر من أين سقطت
وتب ، واعمل الأعمال الأولى . والا فاني آتيك عن قريب ،
وأزحج منارتك من مكانها » (رؤ ٢ : ٥) ياللهول !

وقال لملك كنيسة ساردس «أنا عارف أعمالك ، أن لك
اسما أنك حي وأنت ميت » (رؤ ٣ : ١) . تصوروا أن هذا
الملك العظيم المسك به الرب في يمينه كان ميتا ، واحتاج
أن يقول له الرب « فأذكر كيف أخذت وسمعت ، واحفظ
وتب . فاني ان لم تسهر أقدم عليك كلص . ولا تعلم أية
ساعة أقدم عليك » (رؤ ٣ : ٥) فليرحمنا الله يا اخوتي كعظيم
رحمته . أننا لسنا أقوى من هؤلاء الملائكة السبعة .

اسمعوا أيضا الكلام المخيف الذي قاله الرب لملك كنيسة
لاودكيا « هكذا لأنك فاتر ، ولست باردا ولا حارا ، أنا مزعم
أن أتقيأك من فمي » (رؤ ٣ : ١٦) انه تهديد بالهلاك .
ويتابع الرب كلامه فيقول له « لأنك تقول اني أنا غني ، وقد
استغنيت ولا حاجة لي الى شيء . ولست تعلم أنك أنت
الشقي والبائس وفقير وأعمى وعريان » . وهكذا أشار الرب
عليه أن يشتري ثياباً بيضاً حتى لا يظهر « خزي عريته » .
وقال له أخيرا « كن غيوراً وتب » (رؤ ٣ : ١٧ - ١٩) .

فلا تعتمد أيها الأخ على أنك في يد الله وتترك محبتك
الأولى . فما أسهل أن تسقط من يمين الله ، ان أردت ذلك .
لا يخطفك أحد من يده ، وانما أنت بارادتك قد تترك يد الله .

الاعتراض الثاني

+ (أف ١ : ١٣ / ١٤)

ختمتم بروح الموعد القدوس

انها آية أخرى يعتمد عليها المعترضون . وهي قول بولس الرسول :

« اذ آمنتم ختمتم بروح الموعد القدوس ، الذي هو عربون ميراثنا . . . » . فاعتبروا أن ختم الروح القدس هر عربون ميراث أبدي لا ينزع من الانسان .

والرد بسيط ان الذين ختموا بالروح القدس ، ما تزال لهم حرية ارادة ولذلك يقول لهم الكتاب : « لا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء » (أف ٤ : ٣٠) .
ويقول لهم أيضا « لا تطفئوا الروح » (اتس ٥ : ١٩) .
ويقول أكثر من هذا « من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة الى الأبد ، بل هو مستوجب دينونة أبدية (مر ٣ : ٢٩) اذن فما يزال الأمر بيد الانسان الحر في ارادته . ان شاء أحزن الروح ، وان شاء أطفأ الروح ، وان شاء جدف على الروح . لذلك نحن نصلي ونقول مع المرتل « روحك القدوس لا تنزعه مني » (مز ٥٠) .

ان شاول الملك الذى اختاره الرب ، ومسحه صموئيل
بالدهن المقدس وحل عليه الروح القدس فتنبأ ، وتحول الى
رجل آخر ، حتى تعجب الناس قائلين « أشاول أيضا بين
الأنبياء » (١ صم ١٠ : ٦-١١) ، هذا قد عاد الرب فرفضه ،
وفارقه روح الرب وبعثه روح ردىء من قبل الرب
(اصم ١٦ : ١ ، ١٤) . وهلك شاول مرفوضا من الله .

ليست العبرة فى أوائل الانسان اذ يختم بروح الرب ،
أو يحل عليه روح الرب ، انما العبرة كيف تكون أواخره .

● مثل هذا الرد نجيب به أيضا على من يعترضون بقول
الرب : « وأنا أطلب من الآب فيعطىكم معزيا آخر ليمكث
معكم الى الأبد » (يوحنا ١٤ : ١٦) . ان الروح مستعد أن
يمكث معنا . ولكن اذا استمر بنا الحال فى احزان الروح
واطفاء الروح ، أو فى التجديف أخيراً على الروح ، فمن الممكن
أن ينزع منا .

الاعتراض الثالث

+ (لو ١٠ : ٢٠) ، (فى ٤ : ٣) ، (رؤ ٢١ : ٢٧) .

أَسْمَاؤُكُمْ قَدْ كُتِبَتْ فِي السَّمَوَاتِ

يعترض البعض على امكانية هلاك المؤمن ، بقول الرب

لنتلاميذه السبعين » ولكن لا تفرحوا بهذا ان الارواح تخضع لكم ، بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم كتبت فى السموات » (لو ١٠ : ٢٠) • وبقول بولس الرسول فى رسالته الى فيلبى « وباقى العاملين معى الذين أسماؤهم فى سفر الحياة » (فى ٤ : ٣) • أو بقول الوحي الالهى فى سفر الرؤيا « ولن يدخلها شئ دنس ولا ما يصنع رجساً وكذباً ، الا المكتوبين فى سفر حياة الحروف » (رؤ ٢١ : ٢٧) •

ما اسهل أن نقول ان هذه النصوص المقدسة ، وخاصة النص الأخير ، انما يقصد بها المختارون • ولكن أوضح من هذا أن نقول فى صراحة تامة : انه من الممكن أن يكتب اسم شخص فى سفر الحياة ، ثم يمحو اسمه بعد ذلك •

وهذا واضح من كلام الرب لموسى النبى فى سفر الخروج حينما قال له موسى « والآن ان غفرت خطيئتهم ، والا فامحني من كتابك الذى كتبت » • فقال الرب لموسى : من أخطأ الى أمحوه من كتابى » • (خر ٣٢ : ٣٢ ، ٣٣) •

ويقول الرب فى سفر الرؤيا « من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضا ، ولن أمحو اسمه من سفر الحياة » (رؤ ٣ : ٥) • اذن فهناك امكانية لمحو اسم انسان من سفر الحياة : الذى يغلب لا يمحو الرب اسمه ، والذى ينغلب يمكن أن يمحو الرب اسمه من سفر الحياة • وكما قال « من أخطأ الى أمحوه من كتابى » •

وقد قال أيضا في آخر سفر الرؤيا « وان كان احد يحذف
من أقوال هذه النبوة ، يحذف الله نصيبه من سفر الحياة ، ومن
المدينة المقدسة ، ومن المكتوب في هذا الكتاب »
(رؤ ٢٢ : ١٩)

الاعتراض الرابع

+ (غلا ٤ : ٧)

نحز أولاد الله ، وورثة مع المسيح

يعترضون أيضا بقول بولس الرسول « اذن لست بعد
عبداً ، بل ابنا فان كنت ابنا ، فوارث لله بالمسيح » .

ان هذا الاعتراض يدعونا الى أن نبحت معاً ما هو المعنى
الروحي لكلمة ابن : يقول يوحنا الرسول في تعريف كلمة
ابن « ان علمتم انه بار هو ، فاعلموا ان كل من يصنع البر
مولود منه » (ايو ٢ : ٢٩) . فان قلت أيها الأخ انك ابن
الله ، وبالتالي وراث لله بالمسيح ، فينبغي أن تبرهن على بنوتك
ببرك . فان كنت لا تصنع البر فلست مولودا منه .

يقول يوحنا أيضا « كل من هو مولود من الله لا يفعل
خطيئة ، لأن زرعه يثبت فيه . ولا يستطيع أن يخطيء ، لأنه
مولود من الله . بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد إبليس

(ظاهرون) • كل من لا يفعل البر فليس من الله «
(ايو ٣ : ٩ ، ١٠) • ويكرر معلمنا يوحنا الحبيب هذا المعنى
فى الاصحاح الخامس من رسالته فيقول « نعلم أن كل من ولد
من الله لا يخطئ ، بل المولود من الله يحفظ نفسه والشرير
لا يمسه (ايو ١ : ٥ : ١٨) •

فهل أنت ابن بهذا المعنى الذى يشرحه يوحنا الرسول ؟
ان كنت كذلك فطوباك ، لا شك انك وارث لله بالمسيح •
أما ان كنت - اذا ناقشك أحد فى آية تتعلق بموضوع
الخلاص - تتشاجر وتشتتم وترفع صوتك وتقيم ضجة ، ثم
بعد ذلك تقول أنا ابن لله !! فاعلم أن أولاد الله لا يشتمون ،
لأن الشتامين لا يرثون ملكوت الله • (ايو ٦ : ١٠) •

لا تتفخر باطلا أيها الأخ كما افتخر اليهود قديما بينوتهم
لابراهيم ، فأخجلهم السيد المسيح بقوله « لو كنتم أولاد
ابراهيم ، لكنتم تعملون أعمال ابراهيم » (ايو ٨ : ٣٩) •
فلو كنت أنت ابنا لله ، ووارثا مع المسيح ، « ينبغى أنه كما
سلك ذاك هكذا تسلك أنت أيضا » (ايو ٢ : ٦) •

ان الولادة من الله ليست مجرد لقب زائف نفتخر به •
وانما لها علامات تميزها • يقول الرسول « لأن كل من ولد
من الله يغلب العالم » • (ايو ٥ : ٤) • ويقول أيضا « وكل
من يحب ، فقد ولد من الله ويعرف الله » (ايو ٤ : ٧) •
فهل ينطبق عليك هذان الشرطان ؟ هل أنت ثابت فى المحبة ؟
وهل أنت تغلب العالم ؟ •

علامة جوهرية اخرى للولادة من الله ، تظهر في قول بولس الرسول الى أهل رومية « لأنه ان عشتم حسب الجسد فستموتون ، ولكن ان كنتم بالروح تميتمون أعمال الجسد فستحيون . لأن كل الذين ينقادون بروح الله ، فأولئك هم أبناء الله » (رو ٨ : ١٣ ، ١٤) . هنا شرط للبنوة لله ، يحددها الرسول في الذين ينقادون بروح الله . من هو ابن الله ؟ هو الذى ينقاد بروح الله . فهل ينطبق عليك هذا الشرط أيها الوارث مع المسيح والضامن للملكوت ؟ اسأل نفسك . . .

شرط أساسى آخر للولادة من الله ، أن تكون مولوداً من فوق ، مولوداً من الماء والروح . لأن ربنا يسوع المسيح نفسه قال لنيقوديموس « الحق أقول لك ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) . فهل أنت أيضاً قد خلصت « بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥) ؟ وهل قدسك السيد المسيح مطهراً اياك بغسل الماء بالكلمة ؟ (أف ٥ : ٢٦) .

لا تقل بغير تمعن (أنا ابن لله ، فوارث للمسيح ، فضا من للملكوت) . وانما اختبر نفسك هل أنت قد ولدت من الماء والروح ؟ هل أنت تحفظ نفسك والشرب لا يمسك ؟ هل أنت تغلب العالم ؟ هل أنت محب وصانع للبر ؟ هل أنت لا تستطيع أن تخطئ ؟ هل أنت تنقاد بروح الله ؟ ان كنت كذلك فأنت ابن حقا لله ، وأعمالك تدل عليك « ومن ثمارهم تعرفونهم » .

أما قول بولس « لست عبدا بل ابنا » فيجب أن نضع
الى جواره قول السيد المسيح « ان كل من يعمل الخطيئة هو
عبد للخطيئة ، والعبد لا يبقى فى البيت الى الأبد • أما الابن
فيبقى الى الأبد • فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً »
(يو ٨ : ٣٤ - ٣٦) •

**فالبنة لله اذن من علاماتها التحرر من الخطيئة وعدم
العبودية لها • فان كنت ما تزال تفعل الخطيئة فأنت عبد لها
وأنت اذن خارج عن قول بولس الرسول « لست عبداً
بل ابنا » •**

ان السيد المسيح يحسم هذا الأمر فيقول « ليس كل من
يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى
يفعل ارادة أبى الذى فى السموات » (مت ٧ : ٢١) • « لأن
من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى
وأمى » (مت ١٢ : ٥٠) هذا هو حقا الوريث مع المسيح •

● نفس الكلام الذى قلناه سابقا ينطبق أيضا على آية
بنفس المعنى يستخدمها المعترضون أحيانا وهى :

« **فان كنا أولادا ، فاننا ورثة أيضا ، ورثة الله ، ووارثون
مع المسيح • ان كنا نتألم معه ، لكى نتمجد أيضا معه »**

(رو ٨ : ١٧)

الاعتراض الخامس

+ (يو : ٦ : ٣٧)

من يقبل الي ، لا أُفْرِجُهُ خَارِجًا

حقا ان كل من يقبل الى المسيح لا يخرجهُ المسيح خارجا .
ولكن ماذا نقول عن الذي يخرج بارادته من تلقاء نفسه ؟!
ان المسيح هو الباب ان دخل أحد به يخلص ويجد مرعى
(يو : ١٠ : ٩) .

ان كل الذين خرجوا من الحظيرة المقدسة ، هم خرجوا
بذواتهم ، بأعمالهم ، بطياشتهم ، بضلالهم . هم أرادوا
لأنفسهم الهلاك . عن أمثال هؤلاء يقول يوحنا الرسول « منا
خرجوا . لكنهم لم يكونوا منا . لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا »
(١ يو : ٢ : ١٩) . هم الذين خرجوا .

ومن أمثلة هؤلاء أولئك الذين لم يحتملوا كلام السيد
المسيح عندما تحدث عن تناول من جسده ودمه . وفي ذلك
يقول الكتاب « من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى
الوراء ، ولم يعودوا يمشون معه . فقال يسوع للاثني عشر
ألعلمكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا » (يو : ٦ : ٦٦ ، ٦٧) .

فهؤلاء لم يخرجهم الرب خارجا ، انما هم الذين تركوه ،
بعكس الاثنى عشر الذين ثبتوا معه .

حتى يهوذا الاسخريوطى أيضا ، لم يطرده الرب ، ولم
يخرجه خارجا . وانما هو الذى ترك مجمع التلاميذ ، وترك
عشاء الرب وخرج يفعل ما قد تأمر عليه من قبل .

الاعتراض السادس

+ (١ يو ٥ : ١١ ، ١٢)

من له الابن ، فله الحياة

يعترض البعض بقول يوحنا الرسول « وهذه هي الشهادة
أن الله أعطانا حياة أبدية وهذه الحياة هي فى ابنه ، من له
الابن فله الحياة ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة » .
فيقولون مادام شخص له الحياة ، وله حياة أبدية فكيف يهلك
اذن !؟

مفتاح هذه الآية هو فهم المعنى المقصود من عبارة من له
الابن . فماذا تعنى هذه العبارة ؟ هل تعنى « كل من يؤمن
به » ؟ كلا طبعاً ، لأن الابن نفسه يقول « ليس كل من يقول
يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات ، بل الذى يفعل ارادة

أبى الذى فى السموات « (مت ٧ : ٢١) • وتابع الرب كلامه قائلا « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يا رب يا رب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك أخرجنا شياطين ، وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم انى لم أعرفكم قط ، اذهبوا عنى يا فاعلى الاثم » •

هؤلاء لم يكونوا مؤمنين فقط وانما كانوا صانعى آيات ايضا • ومع ذلك لم يكن لهم الابن « لم يعرفهم قط » • وذلك لأنهم كانوا فاعلى اثم •

وهكذا العذارى الجاهلات : كن مؤمنات ، وقد نادينه قائلات « يا سيد يا سيد افتح لنا » (مت ٢٥ : ١١) • فأجابهن قائلا « الحق أقول لكن انى ما أعرفكن » •

هن ايضا لم يكن لهن الابن ، على الرغم من ايمانهن ، وعلى الرغم من أنهن كن ينتظرنه كالحكيما ، وقد حفظن بتوليتهن ، وأردن أن يدخلن معه الى العرس •

اذن فعبارة من له الابن ، لا تعنى مجرد الايمان • فماذا تعنى اذن ؟ ما معنى « من له الابن فله الحياة » ؟ تعنى الآتى :

أولا - معرفة الابن :

وهذا واضح من قول ربنا يسوع المسيح نفسه للآب : « هذه هى الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته » (يو ١٧ : ٣) •

ولكن ما معنى ان نعرف الابن ؟ وما الدليل على اننا عرفناه ؟

يجيب يوحنا الرسول نفسه ، فى نفس رسالته قائلا :
« بهذا نعرف أننا عرفناه ، ان حفظنا وصاياه • من قال قد عرفته ، وهو لا يحفظ وصاياه فهو كاذب وليس الحق فيه •
وأما من حفظ كلمته ، فحقا فى هذا قد تكملت محبة الله •
بهذا نعرف أننا فيه » (١ يو ٢ : ٣ - ٥) •

هذا هو الرد • لأنه كيف يكون لنا الابن ان كنا لانعرفه؟!
أو كيف نعرفه ان كنا لا نحفظ وصاياه؟! فان حفظنا وصاياه ندلل بهذا على أننا نعرفه وان عرفناه تكون لنا الحياة • اذن من يحفظ وصايا الابن ، يكون له الابن ، وتكون له الحياة •
وما حفظ الوصايا سوى أعمال، تبرهن على صدق هذا الحفظ •

ثانيا - الثبات فى الابن :

ان الذى له الابن ، هو الذى يثبت فى الابن ، والابن نفسه قد قال « اثبتوا فى وأنا فيكم ••• أنا الكرمة وأنتم الأغصان •• ان كان أحد لا يثبت فى ، يطرح خارجا كالغصن، فيجف ويجمعونه ويطرحونه فى النار فيحترق »

(يو ١٥ : ٤ - ٦)

اذن فالثبات فيه لازم للحياة ، كما أن الغصن لا يحيا الا اذا كان ثابتا فى الكرمة ، والذى لا يثبت فيها يجف وتكون نهايته الحريق • اذن من يثبت فى الابن فله الحياة •

فكيف اذن ثبت فيه ؟

يتابع الابن كلامه فيقول « اثبتوا في محبتى • ان حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى ، كما أنى أنا قد حفظت وصاياى أبى وأثبت فى محبته » (يو ١٥ : ٩ ، ١٠) •

الأمر اذن من هذه الناحية أيضا يتعلق بحفظ الوصايا ،
أى بالأعمال الصالحة • يؤكد هذا يوحنا الحبيب أيضا فى نفس رسالته « من قال انه ثابت فيه ، ينبغى أنه كما سلك ذاك ، هكذا يسلك هو أيضا » (١ يو ٢ : ٦) •
وماذا تعنى أيضا عبارة من له الابن ؟ تعنى كذلك :

ثالثا - الشركة مع الابن :

الذى له الابن ، هو الذى له شركة معه • وفى ذلك يقول يوحنا الرسول نفسه « وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح » (١ يو ١ : ٣) • ويتحدث بولس الرسول كثيرا عن هذه الشركة فيقول « متنا معه ، دفنا معه ، قمنا معه ، نتمجد معه » (رو ٦) • ويقول أيضا « لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه » (فى ٣) • ويقول « مع المسيح صلبت » (غل ٢) • الخ •

ولكن كيف تكون لنا شركة معه ؟ هنا يجيب القديس يوحنا فى نفس رسالته « ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلكنا فى الظلمة ، نكذب ولسنا نعمل الحق • ولكن ان سلكنا فى

النور كما هو فى النور ، فلنا شركة بعضنا مع بعض ، ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطيئة « (١ يو ١ : ٧ ، ٦) » .
الأمر اذن كسابقه يتعلق بالسلوك أى بالأعمال .

رابعا - محبة الابن :

لا شك أن الذى له الابن ، هو الذى يرتبط بالابن برابطة الحب . فكيف نجبه اذن ؟

يجيب السيد المسيح نفسه على هذا السؤال بقوله « الذى عنده وصاياى ويحفظها ، فهو الذى يحبني . والذى يحبني نجبه أبى ، وأنا أحبه وأظهر له ذاتي » (يو ١٤ : ٢١) .
والقديس يوحنا يؤكد هذا أيضا فى نفس رسالته فيقول « فان هذه هى محبة الله أن نحفظ وصاياها » (١ يو ٥ : ٣) .
الأمر من هذه الناحية أيضا يتعلق بحفظ الوصايا أى بالأعمال .

اذن فعبارة من له الابن - سواء كان معناها : من يعرف الابن ، أو من يثبت فى الابن ، أو من له شركة مع الابن ، أو من يحب الابن - فهى تستلزم حفظ الوصايا ، لكي تكون للمؤمن الحياة الأبدية .

اذن فالحياة الأبدية تستلزم سلوكا دائما بالبر . ان حاد عنه الانسان ، يفقد هذه الحياة . لأنه « ان قلنا ان لنا شركة معه ، وسلطنا فى الظلمة ، نضل أنفسنا » . . .

ان رسالة يوحنا الأولى لها روح خاصة تتمشى فى الرسالة كلها . ولذلك اذا حاول البروتستانت أن يعتمدوا على آية منها ، وجدوا فى باقى الرسالة ما يرد عليهم

الاعتراض السابع

+ (خر ١٢ : ٢٣ ، ٧)

مثال خروف الفصح

« . . . فحين يرى الدم على العتبة العليا والقائمتين . يعبر الرب عن الباب ولا يدع المهلك يدخل بيوتكم ليضرب » . . . يستغل المعارضون هذه الآية ويقولون ان الذين كانوا يحتمون داخل الأبواب المطلخة بالدم ، كانوا يشعرون بكامل الأمان والاطمئنان مهما كانت حالتهم الشخصية ، ومهما كان تقصيرهم واثمهم . . . لأن خلاصهم كان يعتمد على الدم ، دم خروف الفصح الذى يرمز للمسيح . ولم يكن خلاصهم يعتمد اطلاقا على أعمالهم . ويقولون انه يجب أن نكون فى ملء الثقة بدم المسيح ، ناظرين الى استحقاقات الدم ، وليس الى أعمالنا . ونحن لا ننكر أن الخلاص قد تم بدم المسيح وحده ، وان كفارة دم المسيح غير المحدودة كافية لبعث الاطمئنان فى النفس . ولكن ثقتنا بدم المسيح ، ليس معناها أن نحيا فى

الخطيئة ، أو أن نقصر في أى عمل صالح ، مدعين بأن خلاصنا يتوقف على الدم وليس على برنا وطهارتنا .

وفى مثال خروف الفصح والأبواب المرشوشة بالدم نرى ملاحظة هامة جدا توضح الموقف توضحها سليمان من ناحية الرمز . ذلك أن خروف الفصح كان يؤكل على فطير (خر ١٢: ٨) وكان لابد من نزع كل خمير فى المحلة لمدة سبعة أيام . وهكذا قال الكتاب « سبعة أيام تأكل فطيرا ، وفى اليوم السابع عيد للرب . فطير يؤكل السبعة أيام ، ولا يرى عندك مختمر ، ولا يرى عندك خمير فى جميع تخومك »

(خر ١٣ : ٦ ، ٧)

وقد شدد الرب تشديدا كبيرا على عزل الخمير من البيوت، مع توقيع عقوبة القطع على كل من يأكل مختمرا . فقال « سبعة أيام تأكلون فطيرا . اليوم الأول تعزلون الخمير من بيوتكم . فان كل من أكل خميرا من اليوم الأول الى اليوم السابع ، تقطع تلك النفس من اسرائيل » (خر ١٢ : ١٥) .

وعاد فشدد على هذه النقطة مرة أخرى فقال « تأكلون فطيرا . . . سبعة أيام لا يوجد خمير فى بيوتكم . فان كل من أكل مختمرا ، تقطع تلك النفس من جماعة اسرائيل ، الغريب مع مولود الأرض ، لا تأكلوا شيئا مختمرا . فى جميع مساكنكم تأكلون فطيرا » (خر ١٢ : ١٨ - ٢٠) .

فما هى الحكمة فى كل هذا ؟ وإلى أى شىء ترمز ؟ ان أى

باحث فى الكتاب المقدس يرى جيدا ان الخمير يرمز الى الشر
والخطيئة ، وأن الفطير يرمز الى البر والطهارة •

وقد أوضح بولس الرسول هذا الأمر وضوحا كاملا حينما
قال « اذن نقوا منكم الخميرة العتيقة ، لكي تكونوا عجينا
جديدا كما أنتم فطير • لان فصحننا أيضا المسيح قد ذبح
لأجلنا • اذن لنعيد ليس بخميرة عتيقة ، ولا بخميرة الشر
والحبث ، بل بفطير الاخلاص والحق » (١ كو ٥ : ٧ ، ٨) •

وهكذا تنضح أمامنا الصورة : الباب من الخارج مرشوش
بالدم ، ومن الداخل قد نزع الخمير ، والكل يأكل فطيرا • ان
دم المسيح لا يمكن أن يكون تصريحا لنا بأكل الخمير والشخص
الذى يقلت بواسطة الدم من سيف المهلك ، يمكن مع هذا
الخلاص الاول أن تقطع نفسه من الجماعة اذا أكل خميرا •
وهكذا يفقد خلاص الدم عن طريق أكلة من الخبز المختمر •

كم من أناس خلصوا من الخطيئة الأصلية بدم المسيح ،
ونجوا من سيف المهلك • ثم بعد ذلك فقدوا هذا الخلاص ،
وقطعوا من جسم الكنيسة ، لأنهم أكلوا مختمرا ، أولئك
« الذين نهايتهم الهلاك ، الذين الههم فى بطنهم ، ومجدهم فى
خزيهم ، الذين يفتكرون فى الأرضيات » (فى ٣ : ١٩) •

هل بعد هذا تجرؤ أن تقول اننى أنام مطمئنا داخل
الأبواب المرشوشة بالدم ، مهما كانت سيرتى ؟! أقول لك :
كلا ، ان كان يوجد خمير داخل أبوابك ، فلا يمكن أن تنام

مطمئنا » ان كل من يأكل مختمرا ، تقطع تلك النفس من
شعبها » •

لذلك نقوا منكم الحميرة العتيقة • وعيدوا بفطير الاخلاص
والحق • ان سبعة أيام الفطير ترمز الى العمر كله الذي ينبغي
أن يكون طاهرا • لأن السبعة عدد يرمز الى الكمال • وطالما
تعيش أيها الأخ داخل الأبواب المرشوشة بالدم ، احترس
طول حياتك أن تعزل الحمير من بيتك ، لأن الحكم واضح •

الاعتراض الثامن

المسيح سدد مطالب الله

يقول المعترضون ان موت المسيح قد سدد مطالب العدل
الالهى من كل جهة • فهل يطالبنا الله بتسديده مرة أخرى ؟

كلا ، ان الله لا يطالبنا بذلك ، كما أننا أعجز من أن نوفي
عدل الله ••• وقد سدد السيد المسيح فعلا كل مطالب العدل
الالهى ، وقدم كفارة غير محدودة ، تكفى لمغفرة جميع الخطايا
لجميع الناس فى جميع الأجيال •••

ولكننا نكرر هنا ما سبق أن قلناه ان دم المسيح شيء ،
واستحقاق دم المسيح شيء آخر • ان كل ما نفعله ، ليس هو

ان نسدد مطالب العدل الالهى ، وانما أن نوجد اهلا لاستحقاقات
دم المسيح .

اننا لا نحاول أن نوفى العدل الالهى حقه ، فقد تم ذلك
على الصليب ، حين سفك الرب دمه عنا . انما كل ما نعمله
هو أن نكون مستحقين لدم المسيح .

الاعتراض التاسع

من يسمع كلامى . . له حياة أبدية :

يعترضون أيضا بقول الرب « من يسمع كلامى ويؤمن
بالذى أرسلنى ، فله حياة أبدية ، ولا يأتى الى دينونة بل قد
انتقل من الموت الى الحياة » (يو ٥ : ٢٤) .

نلاحظ هنا أنه لا يتكلم عن الايمان فقط ، بل عن الأعمال
بالاكثر فى قوله « من يسمع كلامى » أى من ينفذ وصاياى .
ونحن نعتقد أن المؤمن الذى ينفذ وصايا الله حتى النهاية ،
فهذا هو الذى يخلص .

ولو أننا تابعنا بقية كلام الرب فى هذه المناسبة ،
لوجدناه يقول « فيقوم الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة »
(يو ٥ : ٢٩) ، ولم يقل « الذين آمنوا » ، مشددا على أهمية
الأعمال للخلاص .

الاعتراض العاشر

الذى وعد هو أمين : + عب ١٠ : ٢٣

حقا ان وعد الله موجود ، والذى وعد هو أمين ، ولكن هذا لا يدعونا الى الثقة العمياء • بل ان القديس بولس ذاته يحذرنا فى نفس الرسالة قائلا « فلنخف أنه مع بقاء وعد بالدخول الى راحته ، يرى احد منكم أنه قد خاب منه » (عب ٤ : ١) ، كما يقول أيضا « ان كنا ننكره ، فهو أيضا سينكرنا » (٢ : ٢ : ١٢) •

يا اخوتى ، تذكروا باستمرار خطورة استخدام الآية الواحدة •

متى نصل الى الخلاص ؟

ان كان المؤمن يمكن أن يسقط ، ويمكن أن يهلك ، وان كان هناك أناس قد بدأوا بالروح وكملاوا بالجسد ، فمتى نقول اذن عن انسان انه قد خلص تماما ؟

نقول ذلك عندما يكمل أيام غربته على الأرض بسلام • ذلك لأننا فى حرب وصراع ، طالما نحن فى الجسد (اف ٦ : ١٠) نحن فى حرب لم نعرف نتيجتها بعد ، لأنه من الجائز أن يكسب انسان الجولة الأولى ، ويخسر فى الجولة الثانية عشرة • من يضمن؟! • ولا يستطيع محارب أن يقول انه انتصر ، الا بعد نهاية الحرب ، أى بعد خلع هذا الجسد •

لذلك يقول الرسول « تمموا خلاصكم بخوف ورعدة »
(فى ٢ : ١٢) • ويقول أيضا « انظروا الى نهاية سيرتهم »
(عب ١٣ : ٧) •

نصوص مقدسة عن خلاصنا المنتظر :

- يقول القديس بولس « فان سيرتنا نحن هي فى السموات ، التى منها أيضا ننتظر مخلصا هو الرب يسوع ، الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده » (فى ٣ : ٢٠) •
- هذا هو الخلاص ، عندما نخلع هذا الجسد المائت ، ونلبس جسد المجد ••• بعد مجيء المسيح الثانى والقيامة العامة •
- ويقول كذلك « هكذا المسيح أيضا بعدما قدم مرة لى يحمل خطايا كثيرين ، سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه » (عب ٩ : ٢٨) • تحدث الرسول هنا أيضا عن الخلاص النهائى الذى يحدث بعد مجيء المسيح الثانى •
- وهكذا يقول القديس بطرس الرسول « أنتم الذين بقوة الله محروسون بايمان لخلاص مستعد أن يعلن فى الزمان الاخير » (١ بط ١ : ٥) •
- هذه الحقيقة ذاتها ، وضحتها مار بولس عندما أمر بخصوص خاطيء كورنثوس « أن يسلم مثل هذا الشيطان لهلاك الجسد ، لى تخلص الروح فى يوم الرب » (١ كو ٥ : ٥)
- عن هذا الخلاص المقبل يقول الرسول لأهل رومية

(١٣ : ١١) « فان خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمننا » .

● ويقول لتلميذه القديس تيموثيوس الاسقف « لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك . لأنك اذا فعلت هذا ، تخلص نفسك والذين يسمعونك أيضا » (١ تي ٤ : ١٦) .
فهذا القديس كان محتاجا أن يلاحظ نفسه ، ويلاحظ خدمته ، ويداوم على هذه الملاحظة ، لكي يخلص .

● وعن هذا الخلاص المنتظر يقول القديس بطرس الرسول
« ان كان البار بالجهد يخلص . . . » (١ بط ٤ : ١٨) .

● ويقول بولس الرسول عن الملائكة « أليس جميعهم أرواحا خادمة مرسلة للخدمة ، لأجل العبيدين أن يرثوا الخلاص » (عب ١ : ١٤) .

● هذا الخلاص الأخير يحتاج الى صبر وجهاد حتى نناله في المجد . وفي هذا يقول القديس بولس « لأجل ذلك أنا أصبر على كل شيء ، لأجل المختارين لكي يحصلوا هم أيضا على الخلاص الذي في المسيح يسوع مع مجد أبدي » (٢ تي ٢ : ١٠) .
اذن فهؤلاء المختارون لم ينالوا الخلاص الذي فيه المجد الأبدي ، على الرغم من أنهم نالوا خلاصا بدم المسيح في المعمودية . ولكنه مجرد عربون (أف ١ : ١٤) يمكن أن نلقده ان أبطلنا جهادنا وانحرفت ارادتنا . . .

هذا الخلاص الأخير ، كيف نناله ؟ يجيب الرسول قائلا
« فلنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا » (عب ١ : ١٢) .
ومن يصبر الى المنتهى ، فهذا يخلص .

الفصل السادس

إجابة أسئلة تتعلق بالموضوع

- ١ -

هل اختار الله أناساً معينين للخلاص؟

١ - الخلاص مقدم للجميع :

يجيب الكتاب اجابة واضحة عن هذا السؤال فيقول «لأن هذا حسن ومقبول لدى مخلصنا الله ، الذي يريد أن جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون» (١ تي ٢ : ٤) .
ان الله يريد أن جميع الناس يخلصون وليست مجموعة معينة منهم . محبة الله قد شملت العالم كله . ولذلك فهو يقول « اني لا أسر بموت الشرير ، بل أن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا » (حز ٣٣ : ١١) .

ولهذا فانه في قضية الفداء يقول الكتاب « هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد ، لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية » (يو ٣ : ١٦) . هنا نرى أن محبته عامة للجميع ، للعالم كله . والخلاص مقدم بصفة عمومية لكل من يؤمن به فاديا وليس لمجموعة معينة .

وهذا المعنى يكرره أيضا معلمنا يوحنا الحبيب فى الحديث
عن ذبيحة المسيح الكفارية ، اذ يقول « وهو كفارة خطايانا •
ليس خطايانا فقط بل خطايا كل العالم أيضا » (١ يو ٢ : ٢)
اذن فالسيد المسيح قد قدم الخلاص للجميع ، بذل نفسه عن
الجميع • هو كفارة خطايا العالم كله ، يريد أن الجميع
يخلصون •

هذه العمومية شرحها معلمنا بطرس الرسول فقال « بالحق
أنا أجد أن الله لا يقبل الوجوه • بل فى كل أمة الذى يتقيه
ويصنع البر مقبول عنده ••• هذا هو رب الكل » (أع ١٠ :
٣٤ - ٣٦) • ويشبه هذا أيضا ما قاله بطرس فى يوم
الخمسين « ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص » •

اذن فانه يريد أن جميع الناس يخلصون • فان لم يخلصوا
جميعا ، فلا يمكن أن يرجع السبب الى الله ، وانما الى الناس •
لأنهم هم لم يريدوا لأنفسهم الخلاص وليس أن الله لم يرد لهم
الخلاص •

ب - وضع الله الاختيار فى أيدي الناس :

ان الله كصالح ومحب لا يشاء أن يهلك خاطيء واحدا ،
بل يريد لكل خاطيء أن يرجع ويحيا • ومع ذلك فقد وضع
الاختيار فى أيدي الناس • ترك الحرية لكل انسان لكى يختار
لنفسه • وفى ذلك يقول السيد الرب للانسان :

« انظر • قد جعلت اليوم أمامك الحياة واخير ، والموت
والشر ••• أشهد عليكم اليوم السماء والأرض • قد جعلت
قدامك الحياة والموت ، البركة واللعنة • فاختر الحياة لكي تحيا
أنت ونسلك » (تث ١٥ : ١٩) •

ولو لم يكن الاختيار في يد الانسان ، فلماذا اذن أرسل
الله الرسل والأنبياء ؟ ولماذا اذن وضع لنا الوصايا وقدم
الانذارات ؟ لماذا عين الكهنة والمعلمين ؟ ما فائدة هذا كله لو
كان هناك أناس معينين للخلاص ، وآخرون معينين للهلاك !؟

• - نصوص كثيرة تدل على أن الإرادة بيد الانسان :

كثير من وصايا الله المقدسة تبدأ بعبارة « ان أراد أحد »
أو « ان أردت » أو « ان سمع أحد لصوتي » ••• وأشباه هذه
من العبارات ، مما يدل على أن الإرادة في يد الانسان ، يختار
لنفسه ما يشاء ، ويحدد مصيره حسب عمله • وسنضرب أمثلة
لكل هذا :

قال ربنا يسوع المسيح « ان أراد احد أن يأتى ورائى ،
فليترك نفسه ، ويحمل صليبه ويتبعنى • فان من أراد أن
يخلص نفسه يهلكها ، ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها »
(مت ١٦ : ٢٤ ، ٢٥) •

وقال للشباب الغنى « ان أردت أن تدخل الحياة فاحفظ
الوصايا ••• ان أردت أن تكون كاملا ، فاذهب وبع أملاكك
وأعط الفقراء » (مت ١٩ : ١٧ ، ٢١) •

وقال فى رسالته الى ملاك كنيسة لاودكيا « ها أنذا واقف على الباب وأقرع • ان سمع أحد صوتى وفتح الباب • أدخل اليه وأتعشى معه وهو معى » (رؤ ٣ : ٢٠) • من جهة الله فانه واقف يقرع على الباب ، ومن جهة الانسان فهو الذى يملك الاختيار : يفتح أو لا يفتح • ونتيجة لهذا يتحدد مصيره •

وكثيرا ما يريد الله ، ولا يريد الانسان • يريد الله الخير للانسان ، ولا يريد الانسان الخير لنفسه • ويتركه الله لحرية ارادته ، يلقي مصيره حسبما يشاء •

مثال ذلك قول الرب فى بكائه على اورشليم « كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ، ولم تريدوا • هوذا بيتكم يترك لكم خرابا » (مت ٢٣ : ٣٧ ، ٣٨) ومثال ذلك أيضا توبيخ الرب لليهود اذ قال لهم « **ولا تريدون ان تاتوا الى لتكون لكم حياة** » (يو ٥ : ٤٠) •

ويدخل فى هذا النطاق أيضا مثال العرس والمدعوين • اذ يقول الرب عن صاحب العرس « وأرسل عبيده ليعادعوا المدعوين الى العرس ، فلم يريدوا أن يأتوا » (مت ٢٢ : ٣) انهم مدعوون الى العرس ، وليسوا معدين للهلاك • الله يفتح لهم مسكوتة ، ولكنهم يرفضون أن يدخلوا • وفى مثال العرس هذا نجد أن الدعوة تكررت أكثر من مرة ومن مرتين • وفى كل مرة يرسل الرب الى هؤلاء المدعوين عبيدا آخرين ، ولكنهم لم يريدوا أن يأتوا • لذلك ختمت هذه المأساة بقول الرب لعبيده

« أما العرس فمستعد ، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين »
(مت ٢٢ : ٨) •

ومن أعمق الأمثلة على مدى اهتمام الله بارادة الانسان في تقرير مصيره • أن السيد المسيح له المجد يقول للمريض قبل شفائه « أتريد أن تبرأ ؟ » (يو ٥ : ٦) • ان الطيب العظيم مستعد أن يشفى ، ولكن مشكلة الذين يهلكون هي أنهم لا يريدون أن يبرأوا •

د - الله مستعد أن يرجع عن حكمه :

هل يوجد اوضح من هذا دليلا على عمق رغبة الله في الاهتمام بخلاصنا؟! لا مانع لدى الله في أن يرجع عن حكمه، ان رجع الانسان عن نره وطلب لنفسه الخلاص •
يعلن الله هذه الحقيقة قائلا :

« واذا قلت للشرير موتا تموت • فان رجع عن خطيئته وعمل بالعدل والحق ••• وسلك في فرائض الحياة بلا عمل اثم ، فانه حياة يحيا • لا يموت • كل خطيئته التي اخطأ بها لا تذكر عليه • عمل بالعدل والحق ، فحياة يحيا » •

(حز ٣٣ : ١٤ - ١٦)

وهذا المعنى ذاته ذكره الله أيضا في سفر أرمياء النبي ، اذ قال « تارة أتكلم على أمة وعلى مملكة بالقلع والهدم والاهلاك ، فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن شرها ، فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها • وتارة أخرى أتكلم على أمة

وعلى مملكة بالبيضاء والغرس • فتفعل الشر في عيني فلا تسمع
لصوتي ، فأندم على الخير الذي قلت انى أحسن اليها به
(أر ١٨ : ٧ - ١٠)

ولنا مثل عملي واضح في قصة نينوى : لقد أصدر الله عليها
حكما • ولكن أهل نينوى تابوا بمناداة يونان • وهكذا يقول
الكتاب « فلما رأى الله أعمالهم أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ،
ندم الله على الشر الذي تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه »
(يونان ٣ : ١٠)

اذن فالأمر يتوقف على الانسان • ولذلك فان معلمنا يعقوب
الرسول يقول « اقتربوا الى الله ، فيقترب اليكم » (يع ٤ : ٨) .
والله نفسه يقول في سفر ملاخي النبي « ارجعوا الى ، ارجع
اليكم » (ملا ٣ : ٧) •

ه - الرد على بعض الاعتراضات :

نبداً أولاً بقول بولس الرسول في الرسالة الى رومية
« ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون
الله ، الذين هم مدعوون حسب قصده • لأن الذين سبق
فعرّفهم ، سبق فعينهم ، ليكونوا مشابهي صورة ابنه • • • »
(رو ٨ : ٢٨ - ٣٠) • ونلاحظ في هذا النص ملاحظات هامة
وأساسية :

نلاحظ أنه قال « كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون
الله » ولم يقل « للذين يحبهم » فالأمر متوقف عليهم لا عليه •

وهذا ينطبق أيضا على قول بولس الرسول « بل كما هو مكتوب ما لم تره عين ولم تسمع به اذن ولم يخطر على بال انسان ، ما أعده الله للذين يحبونه » (اكو ٢ : ٩) ولم يقل أيضا « للذين يحبهم » . لأن الأمر يتعلق في خلاصهم على ارادتهم هم .

ملاحظة ثانية ، وهي أن تعيين الله ليس مرجعه الى اختيار الله وانما الى سبق معرفته . كما قال « الذين سبق فعرفهم . سبق فعينهم » . فالله بسبق معرفته ، وبادراكه لما سوف يحدث في مستقبل الزمان ، عرف من هم الذين سوف يسلكون حسب مرضاته بالبر والاستقامة بكامل اختيارهم . وهؤلاء الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم .

هذا الكلام ينطبق أيضا على قصة يعقوب وعيسو » كما هو مكتوب أحببت يعقوب وأبغضت عيسو » (رو ٩ : ١٣) . فالله بسبق معرفته كان يعرف أن عيسو سيكون انسانا مستبيحاً ، قاتلا ، يستهين بالبكورية ويبيعها بأكلة عدس . وكن يعرف أيضا وداعة يعقوب وحبه للخير .

فأحب الله في يعقوب ما رآه فيه بسبق المعرفة ، وأبغض في عيسو ما رأى أنه سيحدث منه بسبق المعرفة أيضا . ولكننا لا نستطيع مطلقاً أن نقول ان الله عين عيسو لهلاك ، وعين يعقوب للخلاص ، بمعنى أنه كتب على عيسو الهلاك مهما كان اختياره !! واختار يعقوب للخلاص مهما كانت أعماله !! حاشا لله أن يفعل هذا .

يأتى بعد ذلك قول الكتاب « العل الجبلية تقول جابلها لماذا
صنعتنى هكذا . أم ليس للخراف سلطان على الطين أن يصنع من
كتلة واحدة اناءاً للكرامة وآخر للهوان » (رو ٩ : ٢٠ ، ٢١) .
نعم ان للفخارى سلطاناً على الطين أن يصنع منه ما يشاء
اناءاً للكرامة أو للهوان ، وليس للطينة أن تقول له « لماذا
صنعتنى هكذا » . ولكن الفخارى أيضاً حكيم وعادل .

ومن التفسيرات الجميلة التي سمعتها عن هذا الموضوع
ان الفخارى - مع كامل حريته وسلطانه - ينظر بحكمة الى
قطعة الطين ويفحصها . فان رآها جيدة وناعمة ولينة وتصلح
أن تكون اناءاً للكرامة ، فانه لابد سيجعلها اناءاً للكرامة .
من غير المعقول أن تقع طينة رائعة في يد فخارى ، فيصنع
منها اناءاً للهوان . لانه فخارى حكيم . أما اذا كانت الطينة
خشنة ورديئة ، ولا تصلح اناءاً للكرامة ، فان الفخارى
مضطر - بما يناسب حالتها - أن يصنع منها اناءاً للهوان .

فالامر اذن وقبول كل شيء ، يتوقف على حالة الطينة ومدى
صلاحيتها ، مع اعترافنا بسلطان الفخارى وحريته .

ان الفخارى ، على قدر امكانه ، يحاول أن يصنع من الطين
الذى امامه آنية للكرامة ، على قدر ما يساعده الطين على ذلك .
ولذلك قال الرب « هوذا كالطين بيد الفخارى ، أنتم هكذا
بيدي يا بيت اسرائيل . تارة أتكلم على أمه وعلى مملكة بالقلع
والهدم والاهلاك . فترجع تلك الأمة التي تكلمت عليها عن
شرها ، فأندم عن الشر الذي قصدت أن أصنعه بها . وتارة

أتكلم على أمه وعلى مملكة بالبناء والغرس فتفعل الشر في هيئتي
فلا تسمع لصوتى ، فأندم على الخير الذى قلت انى أحسن
اليها به » (أر ١٨ : ٦ - ١٠) .

يذكرنا هذا بمثل الزارع الذى خرج ليزرع (مت ١٣: ٨-٣):
الزارع هو نفس الزارع ، والبذار هي نفس البذار . ولكن
حسب طبيعة الأرض التى سقطت عليها البذار ، هكذا كانت
نتيجتها فى التلف أو الاثمار . ان الزارع لم يعد بذارا للجفاف
أو للاحتراق أو لتختنق بالشوك أو ليأكلها الطير . ولكن
طبيعة الأرض هي التى تحكمت فى الأمر .

الانسان حر اذن فى اختيار مصيره . « لأن من يزرع
لجسده ، فمن الجسد يحصد فساداً . ومن يزرع للروح ،
فمن الروح يحصد حياة أبدية » (غلا ٦ : ٨) .

و - بحث الأمر من الناحية اللاهوتية :

ان مبدأ الاختيار هذا فيه ظلم وفيه محاباة ولا يتفق مع
عدل الله الذى « يجازى الانسان حسب عمله » (٢ كو ٥ : ١٠) .
فاذا كان الله يرحم من يرحم ، ويتراخى على من يتراخى ، ويترك
الباقين للهلاك ، فكيف يتفق هذا مع عدل الله ؟!

والذين عينهم الله للهلاك ، ما ذنبهم ؟! الا يؤدى هذا الى
أن يقع الحطاة فى اليأس ، شاعرين بأنه لا فائدة من جهادهم ،
ما داموا أوانى قد أعدت للهوان . أما الأبرار فان هذا ولا شك

يدفعهم الى التراخي والتهاون • شاعرين أنهم محاصون مخلصون ،
جاهدوا أو لم يجاهدوا ••• !! •

**ثم ما معنى الثواب اذا كان هناك أشخاص مكتوب عليهم
الهلاك قبل أن يولدوا ، وآخرون مكتوب لهم الخلاص قبل أن
يولدوا ؟! • فالمختارون اذن ما فضلهم حتى يثابوا ؟ والأشرار
ما ذنبهم حتى يعاقبوا ؟ •**

**وما لزوم الوصية اذن ، ان كان مصير الانسان محتما أطاع
الوصية أو لم يطعها ! ثم ألا يتعارض مبدأ الاختيار هذا مع
ارادة الانسان الحرة ؟**

**وما جدوى الشيطان أيضا في اختبار ارادة الانسان ؟
ما جدوى تعبته في اغراء المختارين وهم خالصون لا محالة مهما
كانت اغراءاته ؟ وما جدوى تعبته في اسقاط غير المختارين ،
وهم هالكون حتى ان لم يحاربهم •**

**وما لزوم الكرازة والتبشير والرعاية والتعليم ، ان كان
ذلك سوف لا يغير شيئا مما كتب على الانسان من اختيار
أو رذل ؟**

ان فكرة الاختيار هذه توقع العالم في بلبلة ، وتتنافى مع
عدل الله ، كما تتعارض أيضا مع ارادة الانسان الحرة •

ماذا كان جهاد اللص حتى خلس ؟

ان الذين يدعون أن الخلاص هو بالايمان وحده ، يتساءلون :
أية أعمال صالحة قد عملها اللص اليمين ، وأى جهاد جاهده
حتى خلس ؟

ونحن نجيب بأن اللص عمل أشياء كثيرة ، أهمها :

أ - آمن اللص بالرب فى ظروف قاسية جدا :

مجرد ايمان اللص لم يكن أمراً سهلاً . لو أنه آمن بالرب ،
وهو يقيم الموتى ، ويشفى المرضى ، ويمشى على الماء ، وينتهر
الرياح ، ويعمل المعجزات الخارقة ، لقلنا ان تلك أمور واضحة
لا تقبل الشك . ولكنه آمن بالمسيح وهو مصلوب ! آمن به
وهو مهان ومحتقر من الناس ، وأمام الكل فى حالة ضعف !
يلطمونه ، ويصقون على وجهه ، ويستهزئون به ، ويقولون
له « تنبأ من لطمك » ! . . .

كانت المقاومات كثيرة من كل ناحية أمام هذا الايمان .
ولو أن هذا اللص لم يؤمن لالتمس له الناس الأعدار . فكيف
يمكن أن يؤمن برجل مصلوب مهان أنه اله ؟! لابد ان اللص
كان محتاجا الى جهاد كبير مع نفسه من الداخل الى هذا الايمان ،
مقاتلا الشكوك الكثيرة التى تقف أمامه وتكاد تلقى ايمانه . .

كل من يقول ان اللص لم يجاهد ، يبدو أنه لم يتخيل
ويتصور الموقف الذى أحاط باللص . . . ذلك الموقف الذى
أعثر فيه غالبية الناس ، حتى التلاميذ الذين قال لهم الرب
« كلكم تشكرون فى هذه الليلة لأنه مكتوب انى أضرب الراعى
فتتبدد الخراف » (مر ١٤ : ٢٧) . وفعلا تبددت الرعية كلها !
ولم يستطع أن يقف الى جوار الصليب الا المريمات ويوحنا
الحبيب فقط . . . وهذا اللص !

انشق حجاب الهيكل ، واطلمت الشمس ، وتشققت
الصخور . . . فهل كان هذا كافيا للايمان ؟ اننا نعرف جيداً
انه على الرغم من كل ذلك ، لم يؤمن رؤساء الكهنة والكهنة
والشيوخ والكتبة والفريسيون . كما لم يؤمن اللص الآخر
أيضا . . . ان ايمان اللص اليمين لم يكن أمراً هيناً .
ب - اعترف بالرب اعترافاً كاملاً :

ان عبارة « اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك »
(لو ٢٣ : ٤٢) تحمل معانى كثيرة : فهو قد اعترف بالمسيح
المصلوب ربا ، واعترف به أيضا ملكا . اعترف بأن للمسيح
ملكوتاً ، وانه آت الى ملكوته ، أى أن ليس للموت سلطان عليه .
وآمن أيضا بأن المسيح يمكنه أن يدخله الملكوت ، أى آمن
بأن خلاصه سيكون على يد هذا المصلوب معه .

وكان لهذا اللص رجاء كبير . فعلى الرغم من كل ما فعله
فى حياته من شرور بشعة ، آمن أنه يمكن لمثله أن يخلص
وأن يدخل الملكوت ، عن طريق المسيح .

ولم يكتف هذا اللص بايمانه ، وانما اعترف بهذا الايمان
علانية ، أمام الجميع ، بلا خجل . . . الأمر الذي لم يقدر عليه
بطرس الرسول وغالبية الرسل والتلاميذ .
ان اللص لم يعترف قط بايمانه بالمسيح ، وانما :

ج - اعترف أيضا بخطاياہ :

لم يكتف اللص بالاعتراف بالايمان ، وانما ملكته الغيرة
المقدسة حينما سمع زميله يجدف على المسيح قائلاً « ان كنت
انت المسيح فخلص نفسك وايانا » . فأجابه اللص اليمين
منتهرًا « أو لا تخاف انت الله ، اذ أنت تحت هذا الحكم بعينه .
أما نحن فبعدل (جوزينا) لأننا ننال استحقاق ما فعلنا .
وأما هذا فلم يفعل شيئًا ليس في محله » (لو ٢٣ : ٣٩ - ٤١) .

وهكذا اعترف اللص بخطاياہ ، واعترف باستحقاقه
للعقاب . اعترف أنه اذ يموت مصلوبًا ، انما ينال استحقاق
ما فعل . فكأنه لم يستعظم الحكم ، وانما قال « نحن بعدل
جوزينا » .

وكان هذا اللص روحياً في مسلكه : فبينما كان اللص
الآخر يفكر في وسيلة للنجاة من الموت والصلب ، قائلاً
للمسيح « خلس نفسك وايانا » ، كان هذا اللص المؤمن
يفكر في أبعديته ، ويفكر في الملكوت ، ويتوسل الى السيد

من أجل خلاصه الأبدى ، لا من أجل أن ينقذه من موت الجسد .
من جهة موت الجسد فقد رضى اللص اليمين به عقابا على
خطاياہ . لكنه وجد هذه اللحظات لازمة له للتفكير فى أبعديته .
وانشغل ذهنه بالرب وملكوته ، لذلك نراه ايضا يدافع عن
الرب .

د - دافع عن الرب :

وقف المسيح وجيدا لم يدافع عنه أحد ممن تنعموا بنعمه
ومعجزاته . لم يدافع عنه أحد من رسله ولا من السائرين
وراءه . وباستثناء اسماء قليلة ، ارتفع صوت هذا اللص ،
يخجل الآلاف من ناكرى الجميل قائلا « وأما هذا فلم يفعل
شيئا ليس فى محله » .

دفاع عجيب من شخص يستقبل الموت ، دل به على أن
البشرية ما تزال فيها بقية من خير . لذلك استحق أن يقول
له الرب « اليوم تكون معى فى الفردوس » .

يسأل الناس اذن ويقولون : ماذا كان جهاد اللص وما
الذى فعله ؟ اننى اسألهم جميعاً سؤالا آخر يسرنى أن أسمع
الاجابة عليه ، وهو : ماذا كان بإمكان هذا اللص أن يفعل
اكثر من هذا ، ولم يفعله؟!

كيف خلاصوا بدون عماد ؟

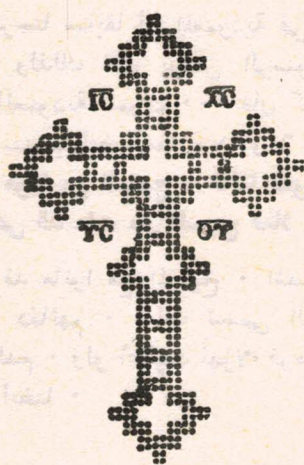
يسأل البعض : كيف خلاص الشهداء بدون عماد ، وكيف خلاص هذا اللص اليمين بدون عماد أيضا ؟ مادامت المعمودية لازمة للخلاص .

الجواب : لقد شرحنا سابقا أن المعمودية في جوهرها هي موت مع المسيح . ولذلك قال بولس الرسول « اعتمدنا لموته . فدفنا معه بالمعمودية للموت . . . فان كنا قد متنا مع المسيح ، نؤمن أننا سنحيا أيضا معه » (رو ٦ : ٣ - ٨) .
فما دامت المعمودية موتا مع المسيح ، فإننا نقول في صراحة ووضوح ان هذا اللص قد مات مع المسيح فعلا . . .

كذلك الشهداء قد ماتوا مع المسيح . اشتركوا معه في الموت . وفي سفك دمائهم . لذلك تسمى الكنيسة مثل هذا الموت معمودية الدم . ولو أعطيت لهؤلاء فرصة من العمر ، لتمموا معمودية الماء أيضا .

St. Andrew's Cross

St. Andrew's Cross: This is the symbol of the Holy Spirit. It is a cross with four arms, each ending in a circle. The arms are made of small squares, and the circles are also made of small squares. The cross is made of black squares on a white background.



The St. Andrew's Cross is a symbol of the Holy Spirit. It is a cross with four arms, each ending in a circle. The arms are made of small squares, and the circles are also made of small squares. The cross is made of black squares on a white background.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٠/٤٢٠٥ .